نظرية
زهير أبو سعد
ضع العنوان المُناسب في الفراغ المُناسب
(.....)
ولكن بفتح الـ : آآآه
نظرية ضع العنوان المناسب في الفراغ المناسب
زهير أبو سعد
Zohir Abosad
zohir.abusad@outlook.com

زهير أبو سعد

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

عنوان الكتاب: نظرية ضع العنوان المناسب

اسم المؤلف: زهير أبو سعد

تصميم الغلاف: زهير أبو سعد

تدقيق لغوي: ت ، ر

مقدمة: زهير أبو سعد

الطبعة الأولى 2020 م

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع: 2020/7536

Literar-Mechana

نظرية

ضع العنوان
المناسب في
الفراغ المناسب

(.....)
ولكن بفتح ال: آآآه

زهير أبو سعد

مقدمة مدقق الكتاب

مرحبًا يا حقيقة

نُقرؤُكِ السَّلامَ وحيدةً بعدَ أنْ صدَحنا بهِ حتَّى امتلأت السَّمواتُ والأرضُ ولم يَلقَ مستجيبًا ولأخبركِ أنَّنا إذ نَكتُبكِ اليومَ فلأنَّنا حكَمْنا بالعدلِ فكانَ الحُكمُ إطلاقَ سراحكِ المَسجون في الأفواهِ سنينَ طويلة، ولأنَّنا أردنا الصِّدقَ لا تَظنِّي أنَّنا نَبتَغي مِن وراءِ ذلكَ شيئًا، فلم يَعُد يَعنينا أمرَ مَن يَحزن ولا مَن يَرضى ولا مَن يَرحل ولا مَن يَبقى في مِكانه، ولم نَعُد ننتظرُ أحدًا ولا حتَّى (بكرا الأحلى) لَسنا مِن المنافقينَ ولا مِن أصحابِ المَصلحة، وفي ذِكرِ الغدِ ولأنَّ هذا اليوم هو أوَّلُ يومٍ لي في التَّبصيرِ والتَّبشيرِ في قرنِ البطالةِ والسَّفالةِ ارتضيتُ أنْ أعمل عرَّافًا لأبَشِّرَكِ أنَّكِ أمامَ أمور عديدةٍ قادمة:

- سيفقدونَ الرُّشدَ قريبًا، سيُصبحُ الصَّوتُ بلا صدى وتَفسدُ الأحلامُ وتَسقطُ الأوهامُ والأقنعةُ، فتحتلِّينَ

السَّاحةَ بعدَ أنْ غبتِ كثيرًا، وبخاصةٍ إنْ وُجدَ كاتبٌ يَتعاطى الشَّجاعةَ ولهُ في الحياةِ نظرتَهُ الخاصّة مُتحدِّيا جميعَ الناسِ في القصدِ والمَعنى، لن تَأفلي ولتَعلَمِي أنَّكِ استثناءٌ في عصرِ الأحلامِ وصفِّ الكلام، ولربَّما حاربوكِ واستهزَؤُوا فيكِ وسَخِروا منكِ ولم تُعجبيهِم، لكنَّ رجلًا كالذي يَكتبكِ لم يَعد مهتمًا،

ستَشهدِينَ ازدحامًا شديدًا في جموعِ الدَّجالينَ يَرأسُهم دجالٌ أكبر، يَتهافتونَ عليهِ أفواجًا أفواجًا، يُقبِّلونَ يديهِ ويُطالبونَ فيكِ ويَقولونَ لهُ بنبرةِ الرَّجاءِ والتوسُّل:

(قُل لنا الحقيقة)

فيرفضُ أنْ يَلفظَ اسمكِ ويَرتعدُ ويَجبنُ ويظلُّ يُخبِّؤك كالعادة،

لهُ نقولُ سيُكشَفُ ذاتَ يومٍ وتُشهرينَ، وللقارئِ أنْ يَملأَ الفراغَ باسمكِ المناسب.

كوني بخيرٍ في أقلامِ الصَّادقينَ يا مِسكينةَ الحال.

ت ر

مُقدمة الكاتب

جسدُ روائيّ للبيع

سعرُ الليلةِ (194,99) يورو، أنتَ اسمكَ لاجئ، وسوفَ يبقى اسمكَ لاجئًا، أتيتَ من أرضِ الحروبِ والدماءِ والتصفياتِ الطائفيةِ والقوميةِ والعرقيةِ، أحلامُك مرهونةٌ بالقليلِ من الحريةِ والكرامة، إن كانَ لديكَ هدفٌ في الحياةِ سوفَ تحققهُ من بعدِ أن تستهلكَ كلَّ قِواكَ الجسديةِ

والعقلية، وسوفَ تُثبتُ لنفسكَ بأنكَ نجحتَ وأنَّ لديكَ قدرةٌ ولو ضئيلةٌ للتغير، وعندما تصلُ إلى أرضِ الأحلامِ كما يُسميها عشاقُ الديمقراطيةِ عليكَ أن تُتقنَ ثلاثةَ أشياء:

اللغةُ والاندماجُ والالتحاقُ بسوقِ العمل

وهناكَ شرطٌ واحدٌ لكي تحصلَ على هذه الأشياءِ الثلاثة، حتَّى أكونُ معكَ في قمةِ الوضوحِ ألا وهو:

(الابتعادُ الجذريُّ عن العرب)

وعدمُ الاقترابِ منهم حتى ولو كانوا أنبياء، وإذا حاولتَ أن تقتربَ فسوفَ تُقبر كُليا ولن يُنزلوا عليكَ أية وسيلة من وسائلِ الرحمةِ مهما فعلت، طبعًا لا تَستثني منهم أحدًا من سياسيينَ
وإعلاميينَ ومُفكرينَ وأطباءَ ومُدَّعي الشرف والنُّبوة، سوفَ تجدُ بأنهم في معركةٍ دائمةٍ بعضهم مع بعض وشتائمَ
وتُهَمَ ومعاركَ داميةٍ قد تصلُ إلى سُدَّةِ القضاءِ تحتَ تُهَم لا تُسمنُ ولا تُغني من جوع، وبلغةٍ شوارعيةٍ أكثر:

(الشاطر يلي بدو يخرا على الآخر)

عندما تتقنُ الأشياءَ المطلوبة منكَ، أن تتجهَ إلى مكتبِ سوقِ العمل، إذا حالفكَ الحظُّ وكانَ الموظفُ هناكَ من أهلِ البلد، أعتقدُ أنَّ أمَّكَ قد دعتْ لكَ في ليلةِ القدر، - كنايةٌ عن الحظِّ السعيد - وإذا كانَ الموظفُ عربيًّا جديدًا سوفَ ترى نجومَ الظهرِ

وتتمنى لو أنكَ غرقتَ في البحر، ومهما حاولتَ أن تفتحَ نافذةَ أمل، سوفَ يُغلقُ الموظفُ عليكَ كلَّ الأبوابِ حتى ثقوبَ الحياةِ سوفَ يَطأُ عليها بقدمِه ويُجردُكَ من كافةِ حقوقِكَ الإنسانية:

تخيَّل وبعدَ أن تَنتهي من كتابةِ سبعٍ وعشرين روايةً باللغةِ العربية، وروايتينِ باللغةِ الألمانية، وتَطبعُ وتنشرُ ويكونُ لكَ مهمةً في الحياة، بكلِّ سخريةٍ سيقولُ لكَ الموظفُ العربي:

(في مكتبِ العملِ لا يوجدُ مهنة كاتبٍ
وروائي هنا!)

جارتي كاترين تقولُ لي: إنها تعملُ في بيتِ دعارة، واسمُها مسجلٌ في مكتبِ العملِ كمهنة، ولها كل حقوقِها الإنسانيةِ
والقانونيةِ والطبيةِ في البلد، وتعيشُ بحريةٍ تامةٍ ومُرتَّبُها أفضلُ من مُرتَّبِ طبيبٍ في مشفى فيينا، وأما الكاتبُ في هذهِ البلد لا يَحظى بأيِّ حقٍّ من حقوقِه حتى لو حصلَ على جائزةِ نوبل، بالمختصر:

على ما يبدو حانَ الوقتُ لتغييرِ المهنة، من روائيٍّ يُمارسُ مهنةَ الحلمِ إلى رجلٍ يُريدُ بيعَ جسدِه في ملهًى للعُراة،
وأنا ما زلتُ ثابتًا عند نظريَّتي التي تقول:

(لا تلوموا العاهرةَ على بيعِ شرفِها، ولكن عليكُم أن تضعوا اللومَ على المجتمعِ الذي أوصلَها لبيعِ جسدِها لكلِّ جائعٍ جنسيا)

زهير أبو سعد

إهداء..

لا أحد يستحق..

1

(دخيل ريحة جرابتك)

كيفَ تَنجو منَ الألم؟ الكافُ في بدايةِ الكيفِ حرفٌ مصيريٌّ يُلهمكَ أنْ تَجدَ حُلولًا للأجوبةِ الوجودية، أنتَ تَبحثُ عن جوابٍ الآن بينَ خرابِ عواطفكَ التي لم تُستَعملْ في بدايةِ أيَّة طريقٍ وجوديةٍ لآلةِ العقل، ثمانون بالمئةِ مِنَ البشريَّةِ إذا دقَّقتَ على مسارِ حياتِهم ستجدُ العقلَ عبارة عن ديكورٍ فقط، ولذلكَ أطلَقُوا مثلًا يَخدمُ مصالحَهم وركَّزوا جيدًا على تلكَ الكلماتِ المُبتذلةِ مِنْ بعدِ أنْ يَقعَ أحدُهم بالجنونِ فقالوا:

(العقلُ زينة)

في الحقيقة، العملُ لهُ عِدَّةُ مهامٍ تَتركَّزُ على القِوى الإدراكيةِ ولكنْ تحتَ سيطرةِ الوعي، التَّفكُّرُ والتَّدبرُ بطريقةٍ إيجابيةٍ

وربَّما الإيجابيةُ التي تُفكِّر بها في نظرةِ غيركَ سلبية، على هذهِ الأسُسِ تولدُ الحكمةُ والحِنكةُ واللُّغة، ويَندرجُ تحتَها الملكةُ الذَّاتيَّةُ لشخصيَّةِ الإنسان، وبعدَها يُصبِحُ المرءُ قادرًا على التَّمييزِ وفَصلِ الخيالِ عن الواقعِ وتقديرِ السَّليمِ مِنَ السَّقيم، وإذا خَلطَ القواعدَ السَّالفةَ فسوفَ يقعُ في خِضمِّ كوارثِ الانفعالاتِ ومعركةِ المشاعر، إنَّهُ مُلخصٌ بسيطٌ على حسبِ رُؤيَتي لمُهمَّةِ العقل، والعقلُ ليسَ زينةً

فحسب بل عاملًا أساسيًّا لكلِّ شيءٍ ليُبرزَ الإنسانُ المُتعقِّلُ أفعالَهُ وتصرُّفاتِه

وحركاتِه، كلُّ ما ذكرتُ مِنْ واقعِ خيالٍ ستجدُهُ في العقل.

الذين يَستعملونَ عواطفَهم يَخلطونَ بينَ مُهمَّةِ العقلِ والقلب، ستجدُ أغلبَ أحاديثَهم العاطفيّةِ ومشاعرَ الحبِّ والكراهيَّةِ والحرمانِ والأمانِ يَستخلصونَها مِنْ عضلةٍ لضخِّ الدَّمِ

وتنقيةِ الأوكسجين مِنْ خلالِ القلب، لا يا ماما، القلبُ وبقيةُ أعضاءِ الجسدِ تتفاعلُ مع سلوكياتٍ مُهمَّةِ العقلِ سلبيَّة كانت أم إيجابيَّة، ومِنْ هنا انبثقَ الغارقونَ في وحلِ الخيالِ مِنْ أنبياءَ وأولياءَ وشعراءَ

ومُفكِّرينَ وأتباعٍ لهذهِ الثُّلة التي أَغرقَت البشريَّةَ بالخراب، ولكن حذارِ أنْ تَفهمَ كلامي مِنْ زاويةٍ سلبيَّة، فقط يَجبُ عليَّ التَّنبيه على أنَّ مَنْ صنَعَ الآلهةَ والحبَّ

والكراهيَّةَ والإلحادَ هو العقل، فلو افترضنا جدلًا مَنْ كانَ أولًا:

(الآلهةُ أم العقل!)

كلُّ مَنْ لهُ باعٌ في نَشرِ الواقعِ أو الخيالِ سوفَ يُدافعُ عن مبادئِهِ ليسَ ليُثبتَ عقلانيةَ الفِكرةِ على العكس تمامًا، بل ليُثبتَ للآخَرِ أنَّهُ على حقٍّ والطَّرف الآخَر على باطل، مِنْ هنا سوفَ تُعرفُ بينَ كلِّ البشريَّةِ التي تَطحنُ بعضها بسببِ فِكرةٍ خياليَّةٍ لا أساسَ لها مِنْ ماهيَّةِ العقل، سيُؤَطَّرونَ مُهمَّةَ العقلِ بحدودٍ لا أساسَ لها، ومِنْ بعدِ ذلكَ سيَجعلونَ مِنْ عقولِ البَشريّةِ صناديقَ أوتوماتيَّكةً لخدمةِ تلكَ الفكرةِ اللَّعينة، وبعد ذلكَ سوفَ تَنشبُ الانفعالاتُ المترتِّبةُ على تلكَ الفكرةِ مِنْ فكرةٍ عاطفيَّةٍ إلى فكرةٍ تنفيذيَّة، وهنا سوفَ تقفُ شوطًا كبيرًا مِنَ الحياةِ وقفةَ ذُهولٍ مِنْ طبائعِ البشرِ وسفكِ دمائِهم تحتَ طائلةٍ وُجوديَّةٍ لا أصلَ لها،

وسيدفعُ جميعُهم ثمنَ تَعطيلِ مُهمَّةِ العقلِ مِنْ أجلِ خيالٍ واسعٍ لا حدودَ له، سوف تَصدرُ المراسيمُ الدَّمويَّةُ الدِّكتاتورية،

وتُبنى الأرض على أُسُسٍ مِنْ خَراب،

وتَنشقُّ البشريَّةُ كلٌّ على حسبِ لونِه
وطعمِهِ وعرقهِ ورائحتِهِ وثقافتِهِ
وطائفتِه وهلمَّ جرا.

فكرةٌ صغيرةٌ صَنعتْ مِنَ الكونِ حرفًا مَجرورًا خلفَ قائدٍ مجهولٍ يُسمَّى: (خُرافة) ولكنْ بعدَ التَّجربةِ البشريةِ عبرَ قرونَ داميةٍ وصَلْنا إلى نقطةٍ حسَّاسةٍ يَتجاهلُها الجميعُ ألا وهي: مُواجهة العقلِ

وسمِّها إنْ شئتَ مُواجهةَ الذات، فليسَ هناكَ حلولٌ لتلكَ المُعضلةِ في رؤيةِ الكثيرِ مِنَ النَّاس، ولكنْ بنظري سهلةٌ جدًّا، يَجبُ عليَّ كفردٍ أنْ أواجِهَ ذاتي بذاتي مِنْ غيرِ أنْ أحملَ مسؤوليَّةَ غبائي على الآخرين،

وأغلبُ البشرِ عندما يَقعونَ في مغبَّةِ عواطفِهم ويتَّضحُ لهم أنَّهم على خطأٍ يحملونَ مسؤوليَّةَ جنونِهم على الآخرين، هذه اللَّقطةُ بالذَّات تُسمَّى:

(الجبن)

لا أقصدُ بالجُبنِ أي بكعكةٍ مَحشوَّةٍ بالجُبن، بل أقصدُ الضعفَ وتحميلُ الآخرينَ مسؤوليَّةَ خطأِ الفردِ وما اقترفتْهُ يَمينه، في النِّهايةِ انفعلاتُنا نعلِّقُها على اتِّجاهاتٍ جُغرافية، كأنْ تقولَ إنَّ تَفكيرَكَ يساريٌّ أو يمينيٌّ أو راحَ فكرُك لبعيد،

ولكن لوين بعيد!

لا أحدَ يُريدُ أنْ يَعرفَ والمُصيبةُ أنَّ الجميعَ يَعرفُ ولا أحدَ يُريدُ أنْ يَتحرَّك، هم فقطْ يَقولون، يَتحدَّثون، يُجادلون يُعادون، يُحبِّون، يَكرهون، يَتطاحنونَ

وأيضًا:

يَقولونَ ليلى بالعراقِ مريضةٌ

فياليتني كنتُ الطبيبَّ المُداويا

تركيبةٌ كلاميَّةٌ وعاطفيَّةٌ لا فائدةَ منها، لِنفرض مثلًا أنَّ ليلى مريضة! ما فائدةُ أبياتِ الشِّعرِ في إنقاذها؟ مِنَ المُفترَضِ أنْ تَدرسَ الطبَّ أو تُرسلَ لها طبيبًا أو تَركَبَ أيَّ مكُّوكٍ فضائيٍّ لتذهبَ وتُنقذَ ليلى، لهذا السَّبب وصلتُ إلى تلكَ النَّظريةِ التي تقول:

جميعُ العشاقِ كاذبونَ حتّى يُثبتوا صدقهم!

مَنْ ستُصدِّقُ ومَنْ ستُكذِّبُ يا ترى؟ إذا كانَ لديكَ عقْل مُبصرٌ للواقعِ سوفَ تكتشفُ الكاذبَ مِنَ الصَّادق، لماذا أغلبُ المِللِ والنِّحلِ مِنَ البشرِ تُعادي اليهود؟

لأنَّهم عمليّونَ وعباقرة في تشغيلِ العقل، لذلكَ مروِّجو الخيال أطلقوا عليهم: شعبُ اللهِ المختار، إذن اللهُ يَختارُ

شعبَهُ المتعقِّلَ والمتدبِّر، فتجدُ الطَّبقةَ السَّاحقةَ مِنَ اليهودِ علماءَ فلكٍ وذرَّةٍ وطبٍّ وهندسةٍ

وكلّ ما يَخطرُ في بالك، خُذْ مثلًا هذه الأسماء وأنا على يقينٍ تمامًا بأنَّكَ لمْ تَسمعْ بهم وفي نفسِ الوقتِ لهم فضلٌ عليكَ وفي نفسِ الوقتِ تَشتمُهم ليلًا ونهارًا بسببِ أنَّك على حقٍّ وهُم على باطل:

آبراهام ليمبيل

آرثر بيرسون

آرثر كورن

آرون آرونسون

آشر بيريس

أبرام يوفي

أبراهام سموالوفيتش بيسيكوفيتش

أدولف لوي

ألبرت نوبيبرغر

ألفرد أدلر

ألكسندر أوستروفسكي

ألكسندر لوريا

ألكسندرا أدلر

أمنون ياريف

أمير بنولي

أناتول أبراغام

أندريه لووف

أوتو فاربورغ

أوتو فاربورغ (عالم نبات)

أيليت شكد

إرنا فورمان

إرنست غيلنر

إرنست كريس

إروين تشارغاف

إريك فروم

إريك كاندل

إسحاق بن سيد

إفرايم كاتسير

إميل برلينر

إميل دوركايم

إيان هيلبرون

إيرفين يالوم

إيفور روبنسون

إيليا بريغوجين

إيمي نويثر

ابراهام بلسنر

اديسلاس غولدشتاين

باري سيمون

بازل برنشتاين

برنارد كاتس

برونو بونتيكورفو

بلوما زيغارنيك

بوب سمولهوت

بوريس هيسن

بول إهرنفست

بول لازارسفيلد

تاديوش رايخشتاين

توبياس ميخائيل كايل آسر

جاكوب برونوفسكي

جان بيار كاهان

جرسونيدس

جورج روسنكرانز

جورج كارباتي

جوزيف بيرنستاين

جوزيف جوشوا وايس

جوزيف غرينبيرغ

جولد تسيهر

جوليوس فون ساكس

جون روبرت فين

جون زيمان

جوناتان بوروين

جيرالد شرودر

جيمس نوبيرغر

جيولا فاركاس

حاييم وايزمان

دافيد ريكاردو

دانيال هيرشكوفيتز

دوغلاس روس

ديفيد غانس

ديفيد كيلين

دينس كونيغ

رافائيل ليفي هانوفر

روبرت أومان

روبرت باراني

روبرت فون ليبين

روبرت وينستون

روث كوهن

رودولف بيرلز

روي يورك كالن

ريتا ليفي مونتالشيني

ريتشارد غانز

ريتشارد كارب

ريتشارد كورنت

ريشارد فيلشتيتر

رينيه سبيتز

سابينا سبييلراين

سارة بافلي

ستيفن بينكر

ستيفن روز

سكوت آرنسون

سهل بن بشر

سوزان غرينفيلد

سيدني برينر

سيغفريد ماركوس

سيمون بارون-كوين

شارلوت أورباخ

شارون شيلح

شيزاف رفائيلي

عدي شامير

غبريال ليبمان

غريغوري بيرلمان

غوستاف فيكتور رودولف بورن

غيورغي أدلسن-فالسكي

فالتر هايتلر

فرانسيس سيمون

فرديناند كوهن

فرنسوا جاكوب

فريدرش غوستاف ياكوب هنلي

فريدريك لوي

فلاديمير روخلين

فلاديمير ليفنشتاين

فيتالي غينزبورغ

فيكتور فرانكل

فيلهيلم واينبرغ

فيليب آيسنبرج

فيليكس واينبرغ

كارل كولر (طبيب عيون)

كلود ليفي ستروس

كورت مندلسون

كوهين العطار

كينيث إتش كيلر

لودفيغ فرديناند ماير

لودفيغ موند

لويس إزرائيل دبلن

لويس جوتمان

ليرا بوروديتسكي

ليزلي برينت

ليف بيرغ

ليف كلاين

ليفيو ليبريسكو

ليو زاكس

ليو ماركس (كاتب)

ليونارد أدليمان

ليونارد أورنستين

ليونيد كانتروفيتش

ليونيد ماندلشتام

مارسيل غروسمان

مارفن ليونارد غلدبيرجر

ماري جولدسميث

ماكس إبراهام

ماكس هاميلتون

مايكل بوريس جرين

موريس بلوك

موريس بندر

ميخائيل نويبيرغر

ميريام روثشيلد

ميلاني كلاين

ناثان روزين

ناثانيال واليش

نعوم تشومسكي

نورمان ليفينسون

نورينا هرتز

نيكولاس كالدور

هانز كرونبرجر (فيزيائي)

هانس فرودنثال

هانس كريبس

هانس هان

هاينريش روبنز

هرثا ماركس أيرتون

هنري ليبسون

هنري مواسان

هوارد زين

هيرمان بوندي

هيلدا غيرينغر

هينريتش فينكلستاين

والتر كون

ياكوف زيلدوفيش

ياكير أهارونوف

يان غرانت

يشعياهو ليبوفيتش

يعقوب زيف

يوفال نئمان

يوليوس فيرست

هل تَعرف ما الفرقُ بينكَ وبينهم؟ أعرفُ أنَّ لديكَ نزعةٌ عنصريَّةٌ طائفيةٌ وتركيبيَّةٌ منذُ الصِّغرِ مُؤدلجةٌ على حسابِ وجودِك، وأعرفُ أنَّ هذهِ الأسماء لا تُهمُّك، وأعرفُ أنَّكَ تكرهُهم أكثرَ مِنْ نفسك، فبحب أقلك إنو:

(لكُسِّي)

عرفتَ أو لمْ تَعرف، إذا بقيتَ محاطًا بما يُدليهِ عليكَ تُجَّار الأوهامِ والخرافاتِ فسيكونُ مَصيركَ كمصيرِ أهلِ هيروشيما بالضَّبط، إنَّهُ عصرُ النَّهضةِ وليسَ عصر أخذِ دورِ الضحيَّة على مدارِ التَّاريخ، والعقلُ وُجدَ قبلَ الآلهةِ شئتَ أم أبيت، اِذهب إلى عواطفِكَ وأحلامِكَ يا ماما لقد حانَ وقتُ التضرُّعِ للآلهةِ مِنْ أجلِ أنْ تُنجدَكَ مِنْ دماغِكَ المُترسِ بالأوهام.

2

(دخيل ريحة جراباتك)

أزْمةُ مُنتصفِ الحياة، لا أعرفُ إنْ كانتْ أزْمةً فِعليًّا! ولكنَّها أزمةُ انعدامِ الثِّقةِ بما سيَأتي، ربَّما أصبحتُ أكثرَ واقعية، ألجأُ إلى الهدوءِ وأَبتعدُ عن مُجملِ الانفعالاتِ الإيجابيَّةِ أو السَّلبيَّةِ ولم يَعدْ هناكَ ما يُثيرُ اهتمامي لأيِّ شيءٍ يُوجَّهُ ضِدِّي أو معي، سوفَ أُؤَطِّرُ المادَّةَ المُستخلصةَ مِنَ العواطفِ (بالبرود) طبعًا لمْ يأتِ هذا البرودُ عن عبث، سأقولُ لكَ بأنَّ هناكَ تجاربٌ خضتُها مع عدمِ الاكتراثِ لما حدثَ أو سيَحدث، فقدتُ تِسعين بالمئةِ مِنْ حَواسي، لمْ أعُدْ أرغبُ بسماعِ موسيقى الجاز الصَّاخبة، ولا بمشاهدةِ بَرامج ستيفن ولا بَرامج أوبرا جايل وينفري ولا حتَّى برنامجَ جورج قرداحي تحتَ عنوان (المساح كريم)

طبعًا برعايةِ محارم ديمة، حتَّى القهوةُ الغربيةُ أو الشَّرقيةُ أشعرُ بأنَّني سوفَ أستفرغُ مِنْ مذاقِها، رائحةُ البارفانِ وشواءُ لحمِ الخِنزيرِ التي تَقتحمُ مَنزلي في عطلةِ نهايةِ الأُسبوعِ مِن بلكونةِ جاري داغ أو رائحةُ تَغوُّطي بعدَ إخراجِ الفضلاتِ مِنْ أمعائي لمْ تَعدْ تُؤذيني أبدًا، حتَّى صوتَ كلبةِ جارتي كاترين لمْ يَعدْ يُزعجُني، بالمختصرِ فقدتُ كلَّ الحواسِ لديَّ ولمْ تَعُدْ الانفعالاتُ تَظهرُ على جسدي، أمضيتُ ثلاثةَ أعوامٍ وأنا أُعاني مِنَ الاكتئابِ الحادِّ معَ القلقِ المُفرِطِ والتَّوتُّرِ

والخوفِ وفَجأة اختَفى كلُّ شيءٍ فقط لأنَّني ولأوَّلِ مرَّةٍ في حياتي أُواجهُ ذاتي بكلِّ ضعفِها وغبائِها وكذبِها، كنتُ عبارةً عن كتلةِ عواطفٍ مُستعدةٍ تَنفعلُ على أتفهِ سبب، ولكنْ كانت المواجهةُ معَ الذَّاتِ أسوأَ مِنَ الهروبِ مِنها، حيثُ ظَهرتْ عليَّ آثارٌ جانبيةٌ لستُ قلقًا عليها ألا وهي: ضغطُ الدَّمِ وتَسرُّعٌ في القلبِ

وعدمُ النَّومِ جيِّدًا وفقدانُ الشَّهيةِ وفقدانُ الرَّغبةِ بالجنسِ تمامًا، والآن أنا عبارةٌ عن أحدِ مُقتنياتِ الدِّيكورِ في

منزلي الأخضرِ الذي أَغلقتُ بابَهُ في وجهِ رُوَّادهِ مِنْ مُحبِّينَ كما أعتقد،

نعم، مُحبُّونَ ولكنْ مُنقسمونَ بين مَصلحجيةٍ ومُتطفِّلينَ ومُعجبينَ ومَرضى نفسيين.

وحيشاكم أنا كنتُ الفلبينية لتُضيِّفَ القهوةَ والكعكَ وأرتَدي ابتسامةً خُلَّبية على وجهي كما أرتَدي بوكسري الدَّاخلي، طبعًا مع احترامي لكلِّ عاملاتِ التَّنظيفِ في كلِّ أنحاءِ العالم، لأنَّني أعرفُ ما معنى أنْ أكونَ عاملةَ تَنظيفٍ واستقبالٍ وتوديعٍ للضُّيوفِ على مدارِ خمسة أعوامٍ مِنَ التَّصنعِ لإرضاءِ فلان وعلتان، كانَ هناكَ صوتٌ في داخلي يقول:

وأنتَ تُراعي مشاعرَ الآخرين إيَّاكَ أنْ تفقدَ نفسكَ حرفيًّا!

نعمْ "كانَ" فعلٌ ماضٍ ناقصٍ مِنَ اللَّونِ
والصَّوتِ والرَّائحةِ وأنا، وكنتُ أنفعلُ على كلِّ كلمةٍ تُوجَّهُ لي كانتْ سلبيةً أو إيجابية، مثلُ طفلٍ صغيرٍ عندما نُعطيهِ كيسًا مِنَ الشِّبسِ بالجُبنةِ المُقرمشة، أطيرُ فرحًا وإذا وجَّه لي أحدُهم كلمةً ومِنْ غيرِ قصدٍ أَستَحي أنْ أسألَ المُتكَلِّمَ ماذا يَقصدُ بالتَّحديد!

طيلةَ الوقتِ أفكِّرُ بطريقةٍ مُرعبة، ربَّما يَقصدُ أنْ يُهينَني أو أنْ يَدوسَ على كرامتي أو يَستنقِصَ مِنْ قيمَتي أو يَضعَني في حلقةِ ضَعْ الكلمةَ القذرةَ في المشاعرِ المُناسبة، كلُّ شيءٍ في الحياةِ لهُ خياران، وكنتُ أختارُ الخيارَ المُؤلمَ لأُثبتَ للآخرِ أنَّني قويٌّ جدًّا، وأنا أعرفُ أنَّني جبانٌ وضعيف، وأُحمِّلُ نفسي ما لا تُطيق واستمرُّ بحملِ تلكَ المعركةِ وأرى دَمي يَسيلُ مِنْ نحري وأُمَوِّهُ السِّيناريو المؤلمَ لكي أُثبتَ أنَّ هذا لا يُعدُّ ألمًا ولا دمًا وإنّما إرهاقٌ بسيطٌ وعابرٌ لا غير.

كانتْ الحقيقةُ أكبرَ مِنَ التَّمثيل، لأنَّ الآخرَ لا يُهمُّهُ أمرَكَ بالأساس، الآخرُ يَفهمُ ما يُريد، أنْ يأكلَكَ لحمًا ويُلقي بكَ عظمًا، بالنِّسبةِ للسَّيدِ سيلفان تومكينز صاحبُ كتابِ «إدراك تصور الانفعال» حيثُ قال:

«الآلياتُ المثيرةُ بشدَّةٍ والمبرمجةُ مُسبقًا والمنتقلةُ وراثيًّا والموجودةُ في كلِّ واحدٍ منا»

يَعني أنَّ هذهِ الانفعالات وراثيَّة، ولكنْ لا أعتقدُ أنَّ البرودَ أيضًا وراثي، طبعًا أنتَ الآن سوفَ يَذهبُ تَفكيركَ بالبرودِ الجنسي، أو ذهبَ بالأساسِ ولكنْ تِسعٌ وتسعونَ بالمئةِ مِنْ برمجَةِ العقلِ البشريِّ مُعلَّقَةٌ بالجنس، أقصدُ بالبرودِ: فقدانُ الشَّهيةِ للحياةِ وعلى أثرِ هذا الشَّيءِ تَتوقَّفُ مُهمَّةُ الانفعالاتِ كليًّا، وأقسى مَشهد رأيتُهُ في حياتي في زيارتي التي قطعتُ بها ساعةً ونصف إلى مشفى الأمراضِ العقليةِ لرُؤيةِ صديقتي

الرَّقيقة إليزابيث مَنْ أُصولَ فرنسية، كان انفعالُها أنْ فقدَتْ السَّيطرةَ على عقلها تمامًا، كنتُ سعيدًا جدًّا لأنها عرفَتْني، عيونُها الواسعةُ الزَّرقاءُ وشعرُها المَكسوّ بالشَّيبِ وفي سنِّ الأربعين، سررتُ جدًّا برؤيتِها وهي أيضًا كأنَّني سقطتُ لها مِنَ الجنَّة، كانتْ تَرتجفُ وتُحاولُ ضبطَ حركتِها لتُثبتَ لي أنَّها بخير:

تكادُ عيناي لا تُصدِّق، سعيدةٌ برؤيتِكَ أستاذ زهير!

أخذتُها إلى حضني وعانقَتْني بشدَّة، شَعرَتْ بالأمانِ حتَّى ابتسمتْ مُرافقتِها التي نقلتْها عبرَ الكرسيِّ المُتحرِّك، كانتْ راقصةَ باليه مُرهفَة قد شَهِدَتْ لها الأوبرا في العاصمةِ فيينا، أحبَّتْ شابًّا مِصريًّا

وكانتْ مِنْ عائلةٍ أرستُقرَاطيَّةٍ غنيَّة، أعطتْهُ جَسدَها وروحَها ووثِقتْ بهِ إلى درجةِ أنَّها مُستعدةٌ أنْ تَموتَ في سبيلِه، تركتْ بابَ خزنتِها وشيكَّاتِها وثَروة

رقصاتِها مواربةً لهُ وسافرَتْ لعملٍ استعراضيٍّ إلى سويسرا، و لكنَّها عادتْ

وقدْ سرقَ كلَّ شيءٍ وكتبَ لها رسالةً ببضعِ كلمات:

شكرًا على كلِّ هذهِ الأموال يا عاهرةَ المسارح!

فقدَتْ عقلَها كليًّا، كانتْ ردَّةُ فعلِها قاسيةً لأنَّ قلبَها طيبٌ ورقيق، كُسرَ قلبها

واجتاحَ الاكتئابُ كلَّ حواسِها، كادتْ أنْ تَقتلَ نفسَها ولكنْ هناكَ مَنْ أنقذَها في آخرِ لحظة، لتكونَ آخِر مَحطَّةٍ لها في حياتِها في مَشفًى للأمراضِ العقلية:

شكرًا يا إلهي لأنَّكِ الآنَ في صحَّةٍ جيدة.

راحتْ تُعيدُ لي كلَّ تَفاصيلَ الماضي وأنا أتفاعلُ معَها بإنسانيَّة، وتُريدُ أنْ تَعرِفَ ماذا حصلَ بالتَّفصيل؟ وهلْ ستخرجُ مِنْ هذا المكان؟

سألَتْنِي:

هل رأيتَ مِدحت؟ لماذا فَعلَ معي هكذا؟

في الحقيقةِ أبكتْني إليزابيث، وقعَتْ ضحيَّة انفعالاتِها، لأنَّ الانفعالاتِ سلاحٌ ذو حدّين إنِ ٱستَحكَمَ في مشاعرِنا فسوفَ تَكونُ النِّهايةُ إمَّا في مشفًى للأمراضِ العقليَّةِ أو نكونُ عبيدًا للمخدِّراتِ والمهدِّئات، وبالنِّسبةِ للحياةِ يَجبُ أنَ نتعايشَ مع الألمِ لنستمرَّ ولنضعَ قاعدةً كي لا نقعَ ضحيَّةَ لانفعلاتِنا:

(لكُسِّي)

الحياةُ وما ستصنعُهُ بنا.

كوني قويةً إليزابيث، أحبُّكِ يا نقطةَ الضَّوءِ في مسرحِ الدُّنيا المتشابكِ بالأحزان.

3

(دخيل ريحة جراباتك)

في بعضِ الأحيانِ أنا أَحسدُ أولئكَ الذينَ يَلجَؤُون إلى الدِّينِ مِنْ أجلِ أنْ يُوقِفوا مُهمَّةَ العقلِ مِنَ الأسئلةِ الوجودية، هو صحيحٌ أنَّ مُهمَّةَ العقلِ شلُّوا أبوها وأبو أبوها ولكنْ شَعروا بالرَّاحةِ روحيًّا، أنا أَختلفُ بطريقةِ رَميِ الأسئلةِ على رفِّ الحدودِ الخياليَّة، وطبعًا هذا لمْ يأتِ عن عبث، خُضتُ تَجربةً دينيةً في مدرسةٍ شرعيَّةٍ ما يُقاربُ أربع سنوات، كانتْ معركةٌ مع الذَّاتِ بينَ الثَّابتِ المُتقلِّب،

ومارستُ مهنةَ القفزِ بينَ كلِّ فصيلٍ

وفصيل، كانت المدرسةُ ذاتُ واجهةٍ صوفيَّةٍ أشعريَّةٍ كما يَعتقدُ الجميعُ

وحسْبَ مَنهجِ وزارتيّ التَّربية والأوقاف، ولكنْ في داخلِ ذاكَ القفصِ المُتشابكِ بالجنونِ كانَ أغلبُ الطَّلبةِ يَتدارسونَ مُتونَ العقيدةِ السَّلفيةِ التَّكفيريَّةِ مثل: كتب محمد عبد الوهاب وابن عثيمين

وابن باز والألباني وغيرهم كالفوزان الشناقطة، وكنتُ مُستمعًا جيّدًا للجميعِ حتَّى أكسبَ ودَّ الكلِّ بَيدَ أنَّ الكلَّ كانوا في وسطِ معركةٍ عقيديةٍ ذات حدودٍ أيديولوجيَّة لا يُمكنُ تَخطِّيها بسببِ النَّصِ الإلهي، وكانَ الطلبةُ السَّلفيّون منقسمينَ بينَ مُرجئةٍ وخوارج، يَعني المُرجئةُ تُطيعُ أمرَ الحاكمِ حتَّى ولو كانَ على ضلال،

وأمَّا الخوارجُ فهم في فكرٍ جهاديٍّ إرهابيٍّ دائمٍ على الحاكمِ والمحكومِ حتَّى قِيام السَّاعة، وأغلبُ الطَّلبةِ كانوا أجانب، في كلِّ مساءٍ كانَ الطَّلبةُ يَتحلَّقونَ حولَ أحدِ المُتون ليَشرحَ لهم طالبٌ غبيٌّ ومُعقَّدٌ نفسيًّا عن تَعلُّمِ العقيدةِ السَّليمة، وطبعًا الكلُّ يَدَّعي الوصلَ بليلى وليلى لا تُقرُّ لهم بوصل،

كنتُ أرَى الجميعَ عن قربٍ بينَ مدٍّ وشد، يُكفِّرونَ بعضَهم بعضًا ويَشتمونَ بعضهم بعضًا ويَتَّهمونَ العوامَ بالردَّة والكفرِ فقطْ لأنَّ هناكَ نصًا إلهيًّا يُثبتُ أنَّ البشريَّةَ مَكانها في الجحيم، كانَ الوقتُ يَمرُّ ببطءٍ والمناحراتُ تتعالى يومًا بعدَ يوم، ولكَ أنْ تَتخيَّلَ أنَّ السَّلامَ بينَهم والتَّحيةَ لا تُقبلْ إذا لمْ تَكنْ في صفِّ الخليَّةِ التي تدّعي بأنَّها على صواب.

كانتْ العقولُ مَسدودةً تمامًا بورقِ التَّوابيت، وألسنتُهم لا تكفُّ عن الغيبةِ

والنَّميمة، ولمْ ألتقِ بشخصٍ إلاَّ وحذَّرني مِنْ مُخالطةِ مَنْ يُخالفُه، كلُّ هذا الهُراء بسببِ فكرةٍ غبيَّةٍ غير قابلةٍ للمناقشةِ أو المُساومةِ حتَّى على حسابِ الآيةِ التي تقول:

(قُلْ تعالوا إلى كَلمةٍ سواءٍ بَينَنا وبينَكم ألاَّ نَعبدُ إلاَّ اللهَ...)

بينَ الأمرِ والمأمورِ والكلمةِ والمُتكلِّمِ ضاعَ رعيلٌ أحمَق قد قادَ البشريَّةَ في تلكَ البقعةِ إلى الدَّموية، لمْ أتَحَمَّلْ كلَّ هذهِ العقولِ البشريَّةِ ولا حتَّى الموادَّ ولا حتَّى الدِّينَ الذي يُجمِّلُهُ الوسطيّونَ بأنَّهُ الدِّينُ الحنيفُ الذي يَقبلُ كلَّ النَّاس!

هو في أيه!

ماذا يَجري هنا؟ إيه الجنون والكذب

والحماقة التي وصلَ إليها غباءُ العواطفِ والتَّجيشِ الطائفيِّ لزَجِّ العوام كما يقولونَ في معركةِ الدَّمِ والآلهة! التَّكفيرُ هُنا أهونُ مِنْ شُربِ كأسٍ مِنَ الماء، والتَّصنيفُ مثل حديثِ أطفالِ الحي، والتَّعصُّبُ أقوى مِنْ صخورِ الصَّوَّان، والطاسةُ ضائعةٌ في تلكَ الحلقةِ التي تُريدُ أنْ تُمزِّقَ بعضها بعضًا بسببِ فكرة.

تخيَّلْ الآن نحنُ جميعُنا كفارا، وعلى أعناقِنا أنْ تُبتَرَ أو تُقطَعَ أيدينا وأرجلَنا مِنْ خلاف، ولا مَكانَ للعقلِ هُنا أبدا، فهناكَ نصٌ عليكَ أنْ تَتقيَّدَ بهِ وتَنصاعَ لهُ مَهما كانتْ تبِعاتِهِ وآثارهُ الجانبيَّة، وما تُلَقَّنُ مِنْ أوهامٍ يُخالفُ الواقعَ تماما، وعليكَ أنْ تتخيَّلَ أنَّ الورقَ والمطابعَ وأغلفةَ الكتبِ والمصابغِ والمحابرِ كلها مِنْ صُنعِ غيرِ المُسلمين ورَدُّ المعروفِ كالآتي:

هم كُفَّار!

لا مَساحةَ هنا لتَحترِمَ غيرَك، ولا نقاشَ في ذلكَ لأنَّ النصَّ ثابتٌ لا نقاشَ فيه، كانَ إذا مَرضَ أحدُهم يَذهبُ إلى طبيبٍ مسيحيٍّ أو مُلحدٍ ولديهم أدواتٌ فاصلةٌ بينَ الخيالِ المُتراكمِ الذي يُطلقونَ عليه عَقيدةً وبينَ واقعِ الحياة، تسعةٌ وتِسعونَ بالمئةِ منهم في ما حصلَ في سوريا

والعراق التحقوا بفصائلَ تَمنحُ تصريحَ عبورٍ إلى الجَنَّةِ مباشرة، فقط عليهم أنْ يُقاتلوا بجأشٍ لينالوا الشَّهادة، طبعًا شهادةٌ خُلبيَّةٌ يتقاطرُ منها دمٌ حلال.

كلُّ هذا الغباء سببهُ نصٌّ لا يُمكنُ النِّقاشَ فيهِ لأنَّهُ ممنوع، وإذا حاولتَ أنْ تُناقشَ فيُمكِنكَ ذلكَ في محكمةِ التَّصنيفِ الشَّرعية.

خرجَ النَّاسُ يُطالبونَ بالحريَّةِ فوقَعُوا في فخِّ المحاكمِ الشَّرعية، وفي نفسِ الوقتِ يَدَّعونَ أنَّهم يَحترمون الأقليَّات،

والتناقضُ الكبيرُ بأنَّهم يَهتفونَ بالحريَّةِ للمطالبةِ بدولةٍ شرعيَّة، يعني إسقاطُ دكتاتورٍ فاسدٍ للوقوعِ تحتَ سيفِ عقولٍ أشَدّ فسادًا، يُمكنكَ أنْ تَطرحَ عليَّ سؤالًا:

ماذا استفدتَ مِنْ هذا الكلام؟

بالمختصر:

(لكُسِّي)

كلُّ الكلامِ وما حدثَ وما سيَحدث، ولكنْ الضحيةُ شعبٌ قد أغرقُوهُ بالعواطفِ

والأوهامِ فضاعَ بينَ البُلدانِ وتحتَ الخيام، لأنُّهم ضحيةٌ بينَ فَكِّي الأنظمةِ الفاسدةِ إلى دينٍ أشَدّ فسادًا، إذا بينَ بعضهِم البعض لا رحمةً ولا أخلاق ولا وجهًا حسنًا فكيفَ بينَ العوامِ الذينَ نقولُ عنهم:

الشَّعب!

أنا لستُ نادمًا على هذهِ التَّجربة أبدًا، ولا آسفًا على ما مَضى مِنْ عُمري، كنتُ أشاهدُ حياتي كيفَ تَضيعُ على مَرأى عينيَّ جِزافا، تَطيرُ كأنَّها ليستْ منِّي،

والآن وبعدَ النُّضجِ أتعلَّمُ ألاَّ أقعَ مرَّةً أخرى، وأشعرُ بالرَّاحةِ إزاءَ كلّ القلقِ المُحاطِ بي لأنَّ القلقَ هوَ حالةٌ طبيعيَّةٌ لأيِّ كائِنٍ قدْ أَعمَلَ عقلَه.

تحيَّةٌ للحريَّةِ وتحيَّةٌ للشَّعبِ وتبًّا للمتسلِّقينَ مِنْ متديِّنينَ ولُصوص.

4

(دخيل ريحة جراباتك)

الاهتمامُ يُؤَطِّرُهُ البشرُ بحدود، كأنْ تَهتمَّ

وفي نفسِ الوقتِ توهمُ نفسكَ أنَّكَ لستَ مُهتمًّا، طبعًا هذهِ لعبةُ الثَّعلبِ والأرنب، فراح خبرك يا كابتن زمانك:

إنَّ الاهتمامَ كمعركةٍ في مَعقلِ سراب ولا يُوجدُ اهتمامٌ بالمجَّان، كلُّ ثانيةٍ مِنْ وقتِكَ سوفَ تَدفعُ ثمنَها عاجلًا غير آجلٍ كالقلقِ والتَّوتُّرِ والاكتئابِ ناهيكَ عن صرفِ جُهدكَ الذِّهنيّ وصرفِ الأموالِ الطَّائلةِ لتصلَ لمُبتغاك، وبحب أقول لك:

إنَّ الاهتمامَ ليسَ غايَة وإنّما وسيلَة للوُصول، طيب يا بيبي وبعدَ الوصلِ ستكتشفُ أنَّكَ بينَ خيارين،

إمَّا النَّدمُ التَّعيسُ أو السَّعادةُ الآنيةُ ليَتبخَّرَ بعدَها كلُّ شيء، فممكن تَسألني ليش؟

حلو السؤال! سألتني ليش؟

إذا وصلتَ واستمتعتَ بالمادَّةِ التي أهدرتَ بها كلَّ الطَّاقةِ الذِّهنيةِ والماديَّةِ

ووجدتَ ما كنتَ تهتمُّ بهِ غير مُطابقٍ لتوقُّعاتكَ فسوفَ يَجتاحُكَ النَّدمُ والألمُ في ذاتِ الوقت، طبعًا ناهيكَ عن التَّقلُّباتِ والانفعالاتِ المزاجيَّةِ التي ستَطرَأُ عليكَ بعدَ أنْ يَقعَ نحرُ توقُّعاتِكَ على مذبحِ الواقعِ الذي لمْ تَعتقدْ بأنَّهُ سيَنحركَ ولكن مِنْ غيرِ أنْ تَسيلَ مِنْ أوردَتِكَ قطرةُ دمٍ واحدة، هون بس راح تَعرف أنَّكَ ضحيَّةُ الإفراطِ في الاهتمامِ وسيكونُ لديكَ تَجربَة قاسيَة لتضبطَ بها التخبُّطَ الذي عشتَه آنفًا، الآن أنتَ أحدُ تجاربِ الآنفًا ضُبِطتَ أوتوماتيكيًّا وبَقيَ في قعرِ ذاتِكَ ندبٌ صغيرٌ بقدرِ حبَّةِ العدسِ ولكنَّهُ يأتيكَ كقُنبلةٍ

هدروجينيَّةٍ يُفتَّتُ وقتَ راحتِك، إذا بدَّك تدور حولَ تلكَ الزُّوبعةِ الخَياليةِ فسوفَ تَقضي عليكَ بالتَّجزئة، إنَّهُ شبحُ الإفراطِ بما كنتَ تَظنُّ أنَّهُ سيُسعدُكَ

وانقلبَ السِّحرُ على السَّاحر،

أنتَ الآنَ تُوهمُ نفسكَ بأنَّكَ لمْ تَعدْ مُهتمًّا، تحاولُ الإيهامَ بأنَّك ما زلتَ قويًّا، تُسابقُ الوقتَ حتَّى تُخمدَ تلكَ النَّار التي قلبَتْ حياتَكَ بينَ قوسين (مِنْ جنَّةٍ إلى جهنَّم) لا تُفكِّر كثيرًا يا بيبي أنتَ قبلَ الإفراطِ

وبعده أنتَ في جحيم، لذلكَ يَكفيكَ الكذبُ وارتداءُ الأقنعةِ والتَّظاهرُ بالقوَّةِ

ومشاهدةُ برامجِ الأملِ والقوَّةِ وحمايةُ الذَّاتِ مِنَ الانهيار، يا حبيبي أنتَ مُنهارٌ الآن! أُنظرْ حولكَ جيِّدًا فسوفَ تعرفُ أنَّك مُنهار، وعلى فكرةٍ هذهِ ردَّةُ فعلٍ طبيعيَّةٍ أنْ تَنهارَ وليسَ عيبًا أنْ تمرَّ بهذهِ الحالةِ لأنَّكَ وصلتَ لنظرية:

(الكُسِّي)

إيملي تدفعُ ثمنَ الإفراطِ في اهتمامِها بحبٍّ كانتْ تَعتقدُ بأنَّهُ ليسَ عابرًا، التقتْ بهِ في إحدى الحاناتِ في العاصمةِ فيينا، على طاولةِ البار، جلسَ بجانبِها شابٌ مغربيٌّ مِنْ أصولٍ عربية، فتبادَلوا الابتسامات، كانت وحيدةً ومُهتمَّةً جدًّا بأنْ تجدَ شريكَ حياتِها أو نِصفها الآخر كما يقولُ بعضهم، كانت أيقونةً في الأنوثةِ وخارقةَ الجمال، إنْ وصفتُ لكَ شعرَها وملامحَ وجهِها وصدرِها العارِمِ

ومؤخِّرَتها المُلتهبةِ فسوفَ تقول لي: أنتَ تَصفُ أُنثى مِنْ عالمِ الحورِ العِين.

في تلكَ اللَّيلةِ تبادلا الحديث، أمسكَ يدَها بعدَ شُربِ كأسٍ مِنْ الفوتكا، شعرَتْ بدفءٍ شديدٍ لمْ تلحظْهُ مِنْ قبل، أيقنتْ أنَّ البارَ جمعَ ثُنائيًّا على شرفِ الحب، وتبادَلا الأرقام، وبعدَ الكأسِ الرَّابعِ مِنَ الفوتكا أخبرَها

بأنَّهُ معجبٌ بها، وفي الكأسِ الخامسِ كانتْ الدَّعوةُ مُوفَّقةً منها لهُ بأنْ يُكملا السَّهرةَ في بيتِها الذي يَعجُّ بالكُتب، لقد دُهشَ بالمكانِ الكلاسيكيّ وبترتيبِ الدِّيكورِ الفاخرِ وجرَّدَها على أريكةِ غُرفةِ المعيشةِ ليبتلعَ كلَّ جزءٍ مِنْ جسدِها،

دخلَ نورُ الشَّمسِ إلى بيتِها، استيقظتْ على وابلٍ مِنَ القُبلِ ومُلامسةِ جسدِها بدراما ليسَ لها مَثيل، وطلبتْ منهُ أنْ يَعيشَ معها لأنَّ الحبَّ اختارَ أنْ يُبارك لهما تلكَ العلاقة، فمضَت الأيَّامُ وطلبتْ أنْ يَتزوَّجَها رَسميًّا ولكنَّهُ رفضَ عرضَها، كانتْ في بدايةِ حملِها مِنْ أثرِ الحبِّ ولمْ تُخبرهُ بذلكَ حتَّى يُوافقَ على الزَّواج،

ولكنَّهُ كانَ يَتهرَّبُ بينَ حينٍ وآخرٍ

واهتِمامها بهِ أفقدَها الاهتمامَ بنفسِها، بدأتْ تَبحثُ عن ماضيهِ لتعرفَ عنهُ كلَّ شيءٍ ولأنَّ مَعرفةَ الآخرِ جزءٌ لا يتجزَّأُ مِنْ الاهتمامِ واكتشفَتْ حسابًا لهُ عبرَ

الفيسبوك بأنَّهُ متزوّجٌ مِن امرأةٍ عربيَّةٍ قد خانَها معها ولمْ يُخبرها بذلك.

الانفعالاتُ التي فعلَتْها كانت قاسية، طردتْهُ مِنَ البيت وأجهظَت الحمْلَ

وأصبحتْ تَتسكَّعُ في الباراتِ لتنتقمَ لجسدِها منه، ومِنْ حُظنِ رجلٍ إلى حُظنِ رجلٍ آخر، ولمْ يُسعفْها الأطبَّاءُ النّفسيونَ مِنَ المُعضلةِ التي أصابتْها والصَّدمةِ التي لمْ تتوقَّعْها ولمْ تُساعدْها أدويةُ الاكتئاب، بل لجَأتْ إلى حقنِ نفسِها بالمخدِّرات، حُقنةٌ بعدَ حُقنةٍ ويومٌ بعدَ يومٍ حتَّى ضعفَ جهازُ مناعتِها لتُكملَ هذهِ الأيَّام في مصحٍّ لمعالجةِ الإدمانِ مِنَ المخدِّرات.

عندما تُريدُ أنْ تُفرطَ في الاهتمامِ عليكَ أنْ تعملَ بنظرية:

(لكُسِّي)

حتَّى لا تكونَ ضحيةَ الإفراطِ لأيِّ شيءٍ لا يَستحقُّ حتَّى ولو على حسابِ صحَّتك. كوني قويَّة إيملي، أحبُّكِ يا حلوة وأنا هنا بجانبِك، أكتبُكِ الآنَ لأنَّني لمْ أرَ أطيبَ مِنْ قلبكِ وروحك، سوفَ أقومُ بإعدادِ طبقِ الملفوفِ وآتي لزيارتِك غدًا.

5

(دخيل ريحة جراباتك)

الوقتُ في الدُّولِ التي يَحكمُها الدِّين الدِّكتاتوري، ويُصوِّتُ لرجلٍ مجرمٍ مِنْ رعيَّةِ المدفعيَّةِ لقتلِ الشَّعبِ باسمِ اللهِ

واسمِ العاداتِ والتَّقاليد، التَّصويتُ هنا يكونُ مِنْ دافعٍ قَومَجيٍّ مُتزمِّتٍ طبقيٍّ ذُكوريٍّ وتَعسُّفيٍّ إجراميٍّ وأيضًا بصرماية التواليت العتيقة.

ما زلتُ أذكرُ صرمايةَ التواليت العربي في بيتِنا في حوران، كانت صرماية بلاستيكيَّة نمرة (42) كانَ الجميعُ يَنتعلُها مِنَ الكبيرِ للصَّغيرِ للمَلفوفِ بالسَّرير، وكانَ لونُها وسطيًّا بينَ الأخضرِ الغامقِ والأزرقِ

المُتردِّي، وفي التواليت يجبُ عليكَ أنْ تَخلعَ بنطالكَ إلى أسفلِ الرُّكبة لتجلسَ جلسةَ الضفدعِ مِنْ أجلِ قضاءِ حاجتك.

قضاءُ الحاجةِ جزءٌ لا يَتجزَّأُ مِنْ حياتِكَ كفرد، وعلى الأكيدِ أنَّكَ بحاجةٍ للوقتِ كحاجتِكَ للطَّعامِ والشَّرابِ والجنس، فمنَ المسموحِ أنْ تتحدَّثَ عن كلِّ شيءٍ وتُدوِّنَ تفاصيلَ الماضي إلاَّ شيئًا واحدًا فقط ألا وهوَ الجنس.

ال Sex ممنوعٌ الحديثُ عنهُ حتَّى لو كانَ مُقنَّنًا ضمنَ إطارِ الدِّينِ والقانون، وطبعًا الدَّولةُ التي تَحكمُها العلمانيَّةُ بدستورٍ دينيٍّ لا تَختلفُ عن الحركاتِ الإرهابيَّةِ الدينيَّةِ التي تُطالبُ ولو بالقُوَّةِ بحكمِ السَّماء، لأنَّ العقولَ في تلكَ البقعةِ كالصرمايةِ التي تَدخلُ بها التواليت لقضاءِ حاجتِكَ ضمنَ فرضيةِ الوقت.

كلُّ شيءٍ بحاجةٍ إلى الوقتِ حتَّى تَكتملَ حكايةُ فاشلٍ وعاطلٍ عن العملِ في حياةِ العقل، ولن تَستطيعَ تحريرَ العقلِ طالما يَرى بأنَّ الإرهابَ هوَ دستورُ الحياةِ

والحياةُ تُعطي الوقتَ للأقوى حتَّى ولو كانَ ظالمًا، وأسوأُ شيءٍ أنْ يُظلمَ الفردُ بسببِ ماضٍ صغيرٍ يَقلبُ لهُ مسيرةَ حياته.

يَعيشُ رامي في مدينةِ حمص، طفلٌ جميلٌ شبَّ معَ منظومةِ الوقتِ والواقعِ على نارٍ هادئة، فكانَ البيتُ الذِّي يَعيشُ بهِ مُشتركًا بينَ أبيهِ وثلاثةٍ مِنْ أعمامِه، يقولُ لي رامي:

كانَ البيتُ صغيرًا جدًّا، أربعُ غرفٍ
وصالة، وكلُّ عمٍّ مِنْ أعمامي لهُ غرفةٌ

ولأبي غرفَة واحدة، كان أبي وأمي يَنامانِ على السَّريرِ وأنا وأخوتي الخمسَة ننامُ على الأرضِ بجانبِ بعضِنا تحتَ ثلاثِ فرشاتٍ كبيراتٍ وغطاءٍ واحد، في الحقيقةِ كانتْ الغُرفةُ تُشبهُ طنجرةَ اليَبرق، نَتنفَّسُ الهواءَ ذاتَه ولمْ تَكنْ هناكَ مُنغِّصاتٌ سوى التَّعايُش مع الواقعِ لأنَّنا ضحيةُ المثلِ المشهور:

(اليد قصيرة والعين بصيرة)

وبقيَّةُ أعمامي كحالِنا تمامًا، يَعيشونَ على مبدأ:

(راضيين بما قسمهُ اللهُ لنا!)

وكانَ عمُّنا الصَّغيرُ عازبًا، يُدخِّنُ السَّجائرَ بكثرة، يَرتدي الألبسةَ الجديدةَ والأحذيةَ الرَّائعةَ ويُسرِّحُ شَعرهُ كلَّ مساءٍ ليصطادَ الرَّغبةَ مِنْ أيِّ شيءٍ كان، وحكايةُ

رامي ليستْ حكايةَ (كان ياما كان) بل إنَّها حكايةٌ واقعيَّةٌ كانتْ تَعيشُها أغلبُ العوائلِ السُّوريةِ في أيامِ الثَّمانينات.

حدَّثَني رامي عن قصَّتهِ بالتَّفصيل، كنتُ أستمعُ لصدى الدراما كأنَّهُ جدَّةٌ معمرةٌ بالسِّن قد شهدَتْ عصرَ القوَّتلي والشِّيشكلي وانقلابَ حزبِ البعثِ عن الإخوانِ المسلمين، وأكملَ رامي حديثَهُ قائلًا:

دُعي أبي وأعمامي إلى عرسِ أحدِ الأقاربِ في حيِّ الوعر، ورحلَ جميعُ مِنْ في البيتِ وبَقيتُ وحدي أشاهدُ برنامجَ الأطفالِ على القناةِ السُّورية الثَّانية، كانَ هناكَ صوتٌ مُزعجٌ مِنْ غرفةِ عمي الصغير، نظرتُ مِنَ النَّافذةِ لأراهُ عاريًا ومَكسوًّا بالشَّعرِ الخفيفِ جاريًا إلى الحمَّامِ ليستحم، وعندما دخلَ الحمَّامَ أسرعتُ إليه، طرقتُ البابَ فصاحَ بأعلى صوتِه:

مين؟

أنا رامي يا عمي!

ماذا تريدُ حبيبي رامي؟

هل أستطيعُ أنْ أُخفضَ صوتَ المُسجِّل، أنا أشاهدُ التِّلفازَ والصَّوتُ مُزعجٌ بعضَ الشَّيء!

حسنًا، اِلحقني إلى غرفتي وابقَ مكانكَ سوفَ آتي إليكَ سريعًا!

ذهبتُ إلى الغرفةِ وجلستُ أشاهدُ صورَ المطرباتِ التي قصَّها مِنْ أغلفةِ المجلَّاتِ السَّاقطةِ وما إنْ جلستُ حتَّى عادَ إليَّ عاريًا، طلبَ منِّي أنْ أدنو منه، اقتربتُ منهُ فضمَّني إليهِ وبدأَ يُمرِّرُ يَدهُ على جسدي حتَّى كبرَ

قضيبهُ فألقى بي على سريرهِ يُقبّلُ جسدي الضَّعيفَ بقوَّةٍ

وأدخلَ قضيبَهُ الكبيرُ في مؤخِّرتي لأنزفَ الدَّمَ بشراسةٍ وبقيَ يَشدُّ ويَمدُّ ويَتعرَّقُ حتَّى هدأَ وسقطَ على جسدي يَلهث، كنتُ أشعرُ بألمٍ كبيرٍ في مؤخِّرتي وراحَ يُجفِّفُ الدَّمَ ويُعقِّمُ الجُرحَ ويَضعُ بعضَ الكريماتِ وطلبَ منِّي ألاَّ أُخبرَ أحدًا بما حدث.

صار هذا السِّيناريو جزءًا مِن طفولتي، بينَ كلِّ مدَّةٍ ومدَّةٍ أذهبُ إلى عمي

وأطلبُ منهُ الجنس، كنتُ أحبُّهُ لأنَّهُ جذابٌ وجميل، وكان كلَّ الوقتِ خائفًا مِنْ أنْ يَكتشفَ سرَّهُ أحد، حتَّى تزوَّجَ ولمْ أعُدْ أعرفُ أينَ أذهبُ لأُفرغَ تلكَ الطَّاقةِ الدَّفينة.

في الحقيقةِ رامي يَعيشُ في هامبورغ في ألمانيا، يَعملُ مع شركةِ دعارة، يُقدِّمُ جسدَهُ مقابلَ المالِ واللِّذة، وهوَ

ضحيةٌ للوقتِ والمجتمعِ المكبوت، لا ألومهُ أبدًا، هو شَقَّ طريقًا يميلُ إليها، كان يَتحدَّثُ معي ويَبكي، وكنتُ جزءًا مِنْ ذاكَ المجتمعِ الذي يَكذبُ كلَّ يومٍ بل وكلَّ ساعةٍ في نَشرِ الفضيلةِ وهوَ في قمَّة الرَّذيلة.

أنا آسفٌ صديقي، كتبتُكَ في كتابي هذا، لأنَّكَ وصلتَ إلى نظرية:

(لكُسِّي)

ولمْ تعدْ مُهتمًا، أنا أحسدكَ على شجاعتِكَ وقوَّتِك.

اعتنِ بنفسكَ وأتمنَّى لكَ الكثيرَ مِنَ القُوَّة، وأكتبُكَ اليومَ لأخبرَ النَّاسَ بأن يتوقَّفوا عن إيذاءِ الآخرين، لمْ يَصلْ هؤلاء الأشخَاص إلى هذا الحَال سِوى بمجتمعٍ يَفعلُ المُحالَ مِنَ الحالِ وفي ذاتِ الوقتِ يُنكره.

6

(دخيل ريحة جراباتك)

الطبُّ × الواقع = ثلاثة سنتمتر مِنَ الفوضى، دائمًا أحبُّ تَقسيمَ الفوضى على حسْبِ حرارةِ خصوبةِ النِدِّ للطماتِ الخصم، ولكنَّ النَّتيجةَ على الأغلبِ تأتي مِنْ مَصدرِ اللُّون للماضي، والوقفُ عنِ الوقتِ الفائتِ هو جريمةٌ بحقِّ الواقعِ

والوقتِ الحالي، السُّؤالُ كيفَ يُمكنُنا تخطِّي بوصلةَ الماضي؟

كيف؟

أداةٌ يَتلافاها البشرُ بحجَّةِ أنَّ ما بعدَ ال (كيف) سوفَ يأتيِ جوابٌ يَضرُّ بمصالحِ البشريَّة، أنا إلى الآن أفكِّرُ بالطَّريقةِ التي تتخطَّاها الأدمغةُ بحجَّةِ أنَّ هناكَ أمرٌ إلهيٌّ ممنوع، كيفَ استطاعتْ العقولُ أنْ تَمنعَ شيئًا وهوَ لا أساسَ له!

يَقولُ علماءُ العقيدةِ الإسلاميَّةِ في صفاتِ الله:

لا تمثيلَ ولا تكييفَ والسُّؤالُ عن صفاتِ الخالقِ بِدعة!

طيِّب يا سيِّدي والخيال؟

جريمةٌ بحقِّ الذَّاتِ الإلهيَّة، ممنوعٌ حتَّى أنْ تَتخيَّل، يأتي النَّصُ كما هوَ ويُحملُ بلا عقلانيةٍ ولا تَدبُّرٍ ولا تَخيُّل، ويَمرُّ في القراءةِ مُرورَ الكِرام، بس بدي أفهم كرام مين والناس نايمين؟

عندما أكتبُ عن صديق، يعني أنَّ هذا الشَّخص يَعني لي الكثير، أكبَر مِنْ نتيجةِ ثلاثة سنتمتر مِنَ الفوضى، لأنَّ وجودَهُ يُشعركَ بالأمان، أي أنَّ هناكَ كائنٌ يَعيشُ في داخِلِك، أكثر مِنْ نظريةِ تَخيُّلِ الآلهةِ

وصفاتِها وأسمائِها ، أكثر مِن حرارةِ خصوبةِ النِدّ للطماتِ الخصم، بل وأكثر مِنْ جريمةِ الوقوفِ على إطلالةِ الماضي، أنا بس بدي أفهم، ما الفائدةُ مِنَ الوقوفِ على تلكَ الإطلالةِ التَّافهة؟

دائمًا يأتي الجواب:

فهمت ولا (لكُسي) لا تفهم!

أصلًا شو الفائدة؟ الفائدةُ أنْ أكتبَ أسماءَ مَنْ أُكنُّ لهم محبةً في هذهِ الثُّلاثيَّةِ على وجهِ الخصوص، ومِنْ

مِنبرِ واقعي المتوقِّف على حدودِ الذَّاكرةِ استحضرُ اسمَ طبيبٍ مِن عائلتي، في الحقيقةِ عرفتُهُ هنا عبرَ السوشل ميديا ولكنْ لا أُخفيكُم سرًّا إنَّ والدهُ صديقي منذُ الصِّغر، إنَّهُ الطبيب:

عدنان أبازيد

لاحظ جيدًا: ع + د + ن + ا + ن = عدنان، ولينا ليسَ لها محلٌ مِنَ الإعراب، لأنَّ المبتدأَ طبيبٌ والخبرَ صديق،

والضَّميرُ في محلِّ رفعٍ مُنفتِحٍ على الآخر، عليكَ أنْ تتخيَّلَ طبيبًا ومُلتزمًا بالدِّينِ الإسلاميِّ ومُنفتِحًا على الآخر، في عالمِ مواكبةِ العولمةِ الإلكترونيةِ وفي تلكَ الرُّقعةِ مِن استنزافِ مادَّةِ القيَم للُّغةِ

وعنصرِ تَفهُّمِ الآخرِ للحروفِ العربيَّةِ تُعدُّ معادلةً صعبةً جدًا، أنا إلى هذهِ اللَّحظةِ لم أجدْ جوابًا لكميَّةِ

تَحمُّلِ أو تَقبُّلِ أو الابتسامِ للآخرِ في عقلِ الدكتور عدنان!

معادلةٌ مشربكةٌ صح!

وأكثَر مَنْ ذلك، أُمعنُ بالواقعِ بأنَّ مَنْ وصلَ إلى الغربِ في حقبةِ الهجرةِ الأخيرةِ مِنَ العربِ إلى أوروبا وأمريكا

وبينَ مَنْ بقيَ في تلكَ البقعة، النتيجةُ بأنَّ هناكَ ظلمٌ مِن القدرِ!

ليش بتطَّلع فيني؟

أي يا سيدي ظلم ونص!

كيفَ يَصلُ الأغلبيةُ المُنغلقةُ عقولهم إلى هذه الجغرافيا المُنفتحة على الآخرِ

ويبقى طبيبٌ بسنِّ الكمالِ في زوبعةِ الخوفِ مِنْ تَخطِّي الحدود، الطبيبُ عدنان أكثرُ مِن أخ، لا أحبُّ المدحَ ولكنْ ألومُ الأقدارَ دائمًا وعلى مَنْ صنعَ القدر،

لماذا هذا الظُّلمُ في أنَّ تسعةً وتسعينَ بالمئةِ مِنَ البشريَّةِ ظُلمتْ جغرافيًّا على حسابِ ثُلَّةٍ مِنَ المجرمينَ فكريًّا لا يَستحقُّونَ تلكَ المَساحة المُنفتحة؟

وأنا في أصعبِ رحلةٍ أخوضُها مع الحياةِ مِنْ تردٍّ في صحَّتي أكتبُ للأجيالِ القادمةِ بأنَّ الطَّبيب:

(عدنان أبازيد)

لا يكفي أنْ أقولَ عنهُ طبيبًا فحسب، هناكَ مثلٌ سوريٌّ مشهورٌ يقول:

(مثل الزبدية الصيني من وين ما طرقتها بترن)

في علومِ الدِّينِ والتَّاريخِ والأدبِ
والجغرافيا واللُّغةِ والحوارِ وتَقبُّلِ الآخرِ لمْ أجدْ
كطبيبِ خاطرتي هذه، ولكنْ مَنْ عرفَهُ جيدًا سيعرفُ
بأنَّه مليءٌ بكافَّةِ المجالاتِ لأنَّهُ شغَّل حاسَّةَ الإنصاف.

تحيةٌ طيّبةٌ لحرفِ العينِ في اسمكَ يا دكتور، وحماكَ اللهُ مِنْ كلِّ عين، وجمعَنا بكَ في مساحةٍ جغرافيَّةٍ تُقدِّرُ إنتاجكَ الذِّهني وعبقريَّتكَ باحتواءِ كلِّ الآراء،
وللقدرِ أكتب:

(لكُسي)

كلّ مُخطَّطاتِك، وقريبًا سوفَ نبعصُكَ

ولكنْ حرفيًا.

7

(دخيل ريحة جراباتك)

يُحدِّثونكَ عن الأحلامِ الخُلَّبيَّةِ ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، مع سطوعِ الحظِّ السَّيءِ
ومع أُفولِه، ويُمحِّصونَ طُرقَ الأملِ كما كانتْ أُمي تُفتِّشُ عن الحَصى السَّوداءِ بينَ نصفِ كيلو غرام مِنَ العدَسِ في نهايةِ الخريف، يَتسابقونَ مِنْ أجلِ حَشوِ الأسماءِ في ثقوبِ المُستقبل، يَتهافتونَ لإثباتِ وجودِهم في سباقٍ مع الوقت، يَحملونَ أوزارًا لمْ يَحمِلها أسلافُهم فيما مضى ليُقالَ عنهم أنَّهم قد صَنعوا شيئًا، يَنسبونَ ما صَنعوهُ للدِّينِ أو للعاداتِ
والتَّقاليدِ أو للقوميَّةِ وعندما يَخذلُهم الوهمُ يَعودونَ إلى كمَّاشةِ الإنسانية،

ويَنسونَ الكذبَ المُتراكمَ كذبةً فوقَ كذبة ولم يَجرُؤ أحدٌ منهم أنْ يَسألَ ذاتَه:

لماذا هذا الصِّراع؟

أحدُهم يَعتقدُ نفسهُ أنَّهُ البطل، وإنْ لمْ يُحالفْهُ الحظُّ سيوهِمُ نفسَهُ أنَّهُ هو الحكَم، وإنْ يَئِسَ مِنْ وظيفتِهِ في لجنةِ التَّحكيمِ سينتقلُ إلى أنْ يكونَ الحَلْبة،
وإنْ تلَقَّى كثيرًا مِنَ الطَّعناتِ سيُوفِّرُ على نفسهِ كلَّ ما ذكرتُ آنفًا ليكونَ ناقدًا حاذقًا كمسَّاحي الأحذية! يُطبِّلُ لفلان ويَثورُ على فلان، وهكذا لعبةُ الأملِ في العالم الافتراضي.

هو سياقٌ وهميٌّ لا أساسَ لهُ لإخراجِ الطَّاقاتِ الإبداعيَّة، نضالُ الحلمِ نحوَ بَرِّ الجنون، وثورةُ النَّومِ على اليقظة، وإنْ لمْ يُبهرْ العيونَ التي تُراقبُهُ بما فعلَ

فسوفَ يُبهرهُم برائحةِ فسائه، إنَّها معادلةُ الضَّغطِ ليترتَّبَ عليها انحسارَ الضراط في فوَّهةِ المؤخرةِ المَشدودةِ بعضلاتٍ قد تَفوقُ عضلاتَ الصَّدرِ ومِنْ بعدِ ذلكَ لنسمعْ صوتًا مع رائحةٍ قذرةٍ ولكنْ مِنْ دونِ لون.

لا لونَ هنا لأكتب، ولكنْ هناكَ أثرُ الصَّوتِ والطَّعمِ والرَّائحة، أنْ تَكتبَ الواقعَ فهذا يَعني أنَّكَ حكمتَ على نفسكَ بالسِّجنِ المؤبَّدِ في مجالسِ الأغبياءِ وصانعي الأملِ والوهمِ والخرافات، ولا يُمكنكَ أنْ تستعملَ كلمة:

(لماذا!)

ستخرجُ مِن تحتِ الرُّكامِ أرواحُ مَنْ وضعوا الحدودَ والقيمَ كي يَقتصُّوا مِنكَ

ولكنْ بسيفِ أحفادِهم وسيبدأُ الجلدُ بماضيكَ وحاضرِك ومستقبلك، عليكَ أنْ تُقاومَ مِنْ أجلِ الحقيقة، ليسَ عليكَ أنْ تُقاومَ مِنْ أجلِهم بل مِنْ أجلِ البقاءِ ثابتًا لمجرَّدِ أنَّكَ أثبَتَّ ثبوتَكَ المهزومِ

والمخلوعِ مِنْ ذاتِك!

لا تَخشَ مِنَ الخشيةِ المُفرطةِ في الخسارات، وهذهِ هي مِهنتي في أزْمةِ الثَّلاثينَ مِنَ النُّضج، هناكَ مَنْ حمَّلَني المسؤوليةَ عن القيَمِ والدِّينِ والعاداتِ والتَّقاليدِ مِنْ غيرِ أنْ أسأل:

لماذا كلُّ هذا الغباء؟

أيُعقلُ أنْ أدافعَ عن فكرةٍ غبيةٍ لمْ أفكِّر بها يومًا ولمْ أجرؤْ على مُناقشتِها وإنْ فعلتُ سيكونُ مصيري:

النَّفيُ أو القتلُ أو الحرقُ عمدًا تحتَ مُسمَّياتٍ كنتُ أدافعُ عنها جهلًا واليوم أحارِبُ وجودَها فكرًا وعقلانية!

عندما أتجرَّدُ مِنْ عَدِّ الخساراتِ في الآلةِ الحسابيَّةِ للوقتِ أشعرُ بالقوَّةِ العظمى التي كانت تُستنزفُ مِنْ أجلِ أمَّةٍ عاهرةٍ بكلِّ ما تَحملهُ كلمةُ العُهر مِنْ معنى، أفقدُ قوايَ مِنْ أجلِ ثُلَّةٍ سبَّبتْ لي الهزائمَ الدَّاخليَّة وعليَّ أنْ أُثبتَ أنني قويٌّ وأقتنعُ يومًا بعدَ يومٍ حتى تفقدَ أسُسَ قوايَ ثباتِها لأنهارَ حرفيًّا تحتَ أقدامِ الوهم.

صراعُ الوهمِ مُعقَّدٌ جدًّا، التَّخلُّصُ مِنْ هذا الصِّراع بحاجةٍ لصراعٍ أشدُّ بأسًا ولا تَنسَ أنَّ الثَّمنَ سيكونُ كبيرًا وربَّما تَفقدُ بهِ حياتَك بأكملِها، ما أريدُ أنْ أصلَ لهُ هو أنْ تكونَ كما تُريدُ أنتَ ولا تَنفد ذخيرةَ قِواكَ مِن أجلِ حلمٍ ليسَ على مقاسِك ولا يُشبهكَ ولا يَتماشى مع واقعك، لأنَّ البشريَّةَ تَعيشُ أزْمةَ المثاليَّةِ

والوصولِ إلى غيرِ المعقولِ وتفاهةِ الاستثناءِ الذي دمَّر حياةَ أجيالٍ بأكملِها.

ذكرَ تقريرُ الجزيرةِ بتاريخ (4/23مِنْ عام 2015م) نجمةً لامعةً سطعَ صوتُها، تلكَ الملكةُ ذات الوجعِ النُّحاسيّ التي أحبُّها مِنْ أعماقِ قلبي وما إنْ سَمعتُ صوتَها حتَّى سالت دُموعي على رحيلِها المُبكِّر إنها:

(ويتني هيوستن)

يقولُ التَّقرير:

مُغنِّيةٌ وممثلةٌ سينمائيةٌ أمريكيَّةٌ عُدَّتْ مِنْ أفضلِ المُغنِّيات على مرِّ العصور. حَققتْ ألبوماتها مبيعاتٍ قياسيَّة، غيرَ أنِّها عانتْ مِنْ اضطرابٍ في حياتِها الزوجيَّة ومِنْ تَعاطي المخدِّرات، عُثرَ عليها فاقِدة

للوعي بحمامٍ في أحدِ الفنادقِ قبلَ أنْ يُعلَنْ عن وفاتِها لاحقًا.

وبعيدًا عن الَّتقرير لم تَسلَمْ تلكَ الملكةُ مِنْ مُهاجمةِ جمهور الفضيلة لحياتِها الشَّخصيَّة، حيثُ جيَّشوا كلَّ وسائلِ الإعلامِ ضدَّها، وللأسفِ لجأتْ للمُخدِّراتِ لتِنسىَ ما يُقالُ عنها، وها هي قدْ وصلَتْ لنظرية:

(لكُسي)

اختارتْ هذا الطَّريق لتوقِفَ مصدرَ الصَّوتِ القادمِ مِنْ عالمِ المثاليَّةِ المُقنَّعِ بالمثاليَّةِ لأعودَ للتَّقريرِ الذي أفادَ بما يلي:

عُثِرَ على ويتني هيوستن فاقدةً للوعي يوم (11 فبراير/شباط 2012 م) داخلَ حمَّام غرفةِ الفندقِ الذي

كانتْ فيه استعدادًا لحضورِ حفلِ توزيعِ جوائزَ غرامي أواردز، وأُعلنُ عن وفاتِها لاحقًا. راجتْ الأنباءُ عن أنَّ الأمرَ يتعلقُّ بحادثِ انتحار، فيما قالَ آخرونِ إنَّهُ نَتيجة تَعاطي جُرعة زائِّدة مِنَ المخدِّرات.

لروحِها ولبشرتِها ولصوتِها السَّلام
والرَّاحة.

تركَتْ ويتني الحياةَ لكم ولقيَمكم الكاذبة، تَركتْ لكم صوتَها وعبقريَّتَها وسلامَها النُّحاسي الدَّاكن، في مثل حوراني يقول:

(حنّو طيازكم، المهم راحتكم)

وأنا على فراشِ مَرضي وحدَهُ صوتُها مَنْ يُشعرني بالأمان، وبأغنيتِها التي جعلَتْني أعرفُ طعمَ الحبِّ
أستمعُ إلى كلماتِها
وشعورِها الذي اجتاحَ كلَّ أنفاسي:

(I look to you)

سوفَ أضعُ لكم ترجمةَ هذه الأغنية على أملِ أنْ تُوقفَ صوتَ الوهمِ والأملِ وأنْ تكونَ عفويًّا وألاَّ تُحاول:

وأنا مستلقٍ
تَسمعُني الجنةَ الآن
فقدتُ نفسي دونَ سببٍ
بعد ما أَعطيتُ كلَّ شيءٍ

أتتْ عواصفُ الشِّتاءِ
وأظلمتْ شمسي
بعدَ كلِّ ما مررتُ بهِ في حياتي
مَنْ في الأرضِ يُمكنني أنْ ألجأَ إليه؟

أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
بعد أنْ انتهتْ قوَّتي
يُمكنُني أنْ أكونَ قويَّةً بكَ
أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
وبعدَ أنُ تَنتهي الألحان
أسمعُ أغنيةَ معك
أنظرُ إليكَ

كدتُ أنْ أفقدَ تَنفُّسي
لم يَعد هناكَ خلافاتٌ مُتبقِّيةٌ
أغرقُ ولا أنهضُ بعدَ الآن
أبحثُ عن هذا البابِ المفتوح،

وكل طريقٍ سلكتُهُ
قادني إلى النَّدمِ
ولا أعرفُ إذا كنتُ سأفعلُها
لا يُمكنني فعلُ أيِّ شيءٍ سوى أنْ أرفعَ رأسي

أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
بعد أن انتهتْ قوَّتي
يُمكنُني أنْ أكونَ قويّة بكَ

أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
وبعدَ أنْ تَنتهي الألحان
أسمعُ أغنيةً معكِ
أنظرُ إليكَ

حطَّمتَ سُدودي
هبطَتْ جُدراني
المتداعيةِ عليا

تَسقطُ الأمطارُ
الهزيمةُ تُنادي
أحتاجُكَ لتحرِّرني

خُذني بعيدًا عن المعركةِ

أحتاجكَ
أشرقِ عليا

أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
بعد أنْ انتهتْ قوَّتي
يُمكنُني أنَ أكونَ قويَّة بكَ
أنظرُ إليكَ
أنظرُ إليكَ
وبعد أنْ تَنتهي الألحان
أسمعُ أغنيةً معكَ
أنظرُ إليك.

شكرًا ويتني، أحبُّكِ يا صوتَ الجنَّةِ والأمان.

8

(دخيل ريحة جراباتك)

نحنُ نضعُ اللَّومَ على مَنِ اجتازَ الواقعَ بعمليةٍ بسيطةٍ لا تَستغرقُ بضعَ دقائقَ في سبيلِ النَّجاةِ مِنَ الحياةِ بأعجوبةٍ كما يقولُ الشاعرُ محمود درويش، مَنْ قالَ بأنَّ الانتحارَ فكرةٌ غبيَّة!

مَنْ روَّجَ لنا بأنَّ الموتَ شيءٌ مُرعب؟ ما هيَ البراهينُ العقليَّةُ على أنَّ الموتَ هو خروجٌ مِنَ الحياة؟ أليسَ الموتُ هو حياةٌ أخرى؟ يَكفي بأنَّ مَنْ ماتَ وفَّر للبشريَّةِ استهلاكَ الأوكسيجين! ووفَّرَ استهلاكَ الغذاءِ والماءِ والمساحةِ وأيضًا وفَّرَ للحياةِ التَّقلباتِ التي هي رحلةٌ مِنْ مزاجٍ مُتخبِّطٍ بينَ الحبِّ والكراهيَّة، بقدرِ ما

الفقدُ مؤلمٌ بقدرِ ما هوَ مُريح، تَخيَّل بأنْ يَبقى البشرُ أحياءً بلا موت!

هل شعرتَ بالقرفِ؟ كيف يُمكنُ للأجيالِ أنْ تَتحمَّل مسؤوليةَ كبارِ السِّنِّ مِن أمراضٍ وخُزعبلاتٍ وأوهامٍ وتَخبُّطٍ

واستنزافِ الطَّاقةِ البشريَّةِ لأجلِ بشرٍ أصبحوا مومياْءَاتٍ كلُّ همِّها أنْ تأكلَ

وتشربَ وتنامَ وتتغوَّط في ثيابِها! إنَّهُ جنونٌ بحدِّ ذاتِه، المُروِّجونَ لوَهمِ ما بعدَ الموتِ مصابونَ بأزْمةِ خوفٍ وقلق، طبعًا هناكَ عدَّةُ أسبابٍ ومِنْ أكثرِها رواجًا الإيمانُ بالوهمِ المبنيّ على تَخيُّلاتٍ مزاجيَّةٍ لفردٍ ما ادَّعى أنَّهُ يَعلمُ ماذا سيَحدثُ بعدَ الموت، هنا يُمكنُنا أنْ نتوقَّفَ عندَ السُّؤالِ المُستفز:

كيفَ أنَّ البشريَّةَ آمنتْ وسلَّمتْ أدمغتِها لتلكَ الأسطورة؟

على مرِّ العصورِ تَلقَّنَ الأجيالُ الخوفَ كادرًا عن كادر، ويُصقلونَ بالقلقِ والتَّوتُّرِ

والأمراضِ العقلية، لتُصبحَ أنَّ الفكرةَ إيمانٌ ويَجبُ الوقوف عندَ ذاكَ الحدِّ

وعدم اجتيازِهِ لأنَّ هناكَ شبحٌ خطيرٌ يُدعى جهنَّمَ قد صنعَتْها الآلهة، وعلى مدارِ العصورِ البشرُ يُقدِّمونَ النُّذورَ والطَّاعةَ مِنْ غيرِ أنْ يَسأل أحدهم:

لماذا كلُّ هذا الإسرافِ في الجهد؟

هل الآلهةُ تَحتاجُ كلَّ هذهِ المعاناةِ البشريَّةِ لترضى! إنَّها عقولٌ مروضةٌ مِنَ الصِّغرِ على عدمِ الاكتراثِ بالأسئلة، لأنَّ مُواجهةَ الحقيقةِ + الواقع + العقل = انتحار!

هكذا هي معركةُ المُواجهة، معركةٌ جنونيةٌ نهايتُها الانتحار، ومُهمَّةُ روادِ الإيمانِ أنَّ المُنتحرَ سوفَ يَنتظرهُ سيناريو آخرَ اسمهُ: العذابُ المُقيمُ في جهنَّم، خيالٌ واسعٌ دراميٌّ مُشبعٌ بالرُّعبِ فمنَ الأفضلِ مُواجَهة تلكَ الأسئلةِ معَ ذاتِكَ لا مع شخصٍ آخر، لذلكَ يَهربُ مَنْ كانوا يُصارعون حلْبَةَ الأملِ نحوَ الهدفِ الهزيمة الواقعيَّة بأنَّ لا معنى للحياة، كيف ذلك؟

وصلوا إلى النُّجومية، حقَّقوا أرباحًا طائلة، أصبحَ لهم جمهورٌ ضخم،
وأصبحوا أُسطورةً تَقتدي بهم الأمم، مَن منَّا سمعَ بنجمةِ هوليوود وملكةِ الشَّاشةِ السينمائيَّة:

(مارلين مونرو)

فى أغسطس من عام 1962م ، انتحرتْ مارلين مونرو ووجدوا بجانبِها رسالة كتبَتْ فيها:

(لديَّ إحساسٌ عميقٌ بأنَّني لستُ حقيقةً تمامًا، بل إنني زيفٌ مُفتعلٌ ومصنوعٌ بمهارةٍ وكل إنسانٍ يُحسُّ في هذا العالمِ بهذا الإحساسِ بينَ وقتٍ وآخر، ولكنَّني أعيشُ هذا الإحساس طيلةَ الوقت، بل أظنُّ أحيانًا أنَّني لستُ إلاَّ إنتاجًا سينمائيًا فنيًا أتقنوا صُنعه)

تخيَّلْ كيفَ أنهتْ حياتِها، ومع تلكَ الشُّهرةِ المُهوِّلة، فقدْ فشِلتْ مونرو في حياتِها الشَّخصيَّة، ولم تحقِّقْ لها مهنتها الرِّضا النَّفسي، وقد أثارتْ وفاتُها الطَّريقةَ التي تَخلَّصتْ مِنْ مواجهةِ نفسِها بجرعةٍ زائدةٍ مِنَ الباربيتورات.

بالمختصرِ لقد وصلَتْ إلى عنوان الكتاب:

(لكُسي)

ومارلين مونرو ليستْ الوَحيدة التي أقدمَتْ على الانتحار، بل هناكَ مئاتٌ مِنَ المشاهيرِ الذينَ تقنَّعوا لإرضاءِ الجُمهورِ على حسابِ شخصيَّتهم وواقعِهم، حذارِ أنْ تَخسرَ واقعَكَ وحياتكَ وذاتكَ مِنْ أجلِ وَهمٍ أو إرضاءِ جماعةٍ ما، ولهذا السَّببِ تركتُ الخيالَ لأنَّهُ موتٌ آخرَ أقسى مِنْ سكونِ الجسدِ الباردِ الذي سلَّمتْهُ الحياةُ لتابوتٍ خشبيٍّ تحتَ التُّراب.

إلى روحكِ السَّلامُ أيَّتُها الجميلة:

(مارلين مونرو)

9

(دخيل ريحة جراباتك)

العالمُ الغارقُ بالقيمِ والمبادئِ والدِّين
وحتَّى الإلحاد باتَ مُقرفًا وداعيًا للاشمئِزاز، كلُّ ما ذكرتُ آنفًا سببهُ مهامُ اصطيادِ الفريسةِ مِنْ أجلِ الجنس، يُحدِّثونكَ عن الحبِّ ليلًا نهارًا صمتًا وجهارًا، يُلطِّخونَ الحبَّ بأدواتِ الإباحيَّةِ ويُؤَطِّرونَهُ تحتَ مُسمَّى القانونِ والدِّينِ
والعاداتِ والتَّقاليدِ حتَّى لا تَحلُّ الفوضى في المجتمع، وبينَ الرَّدعِ والانحلالِ يُخلقُ جيلٌ جديد، الرِّجالُ قوَّامونَ على النَّساء، أو جيلُ الانفتاحِ والمُساكنةِ والمعاشرةِ بالمعروف، وليسَ هناكَ رادعٌ يَضبطُ طوفانَ الرَّغبةِ لدى الجنسينِ منَ الجُموحِ نحوَ

الضَّحية، ولم يَسألْ أحدٌ منَّا مَن هوَ الضَّحيَّة؟ لأنَّنا نعيشُ في مُجتمعاتٍ كلُّها تلعبُ دورَ الضَّحيةِ والذِّئب في محلِّ رفعِ مُبتدأ، حتَّى لو دُعيتَ للاختلاطِ أو الانغلاقِ لدى الجنسين لا بدَّ أنْ يَحدثَ احتكاكا لأنَّ الكبتَ لا دينَ له ..

عندما كنتُ طفلًا كانَ المراهقونَ مِنْ شُبَّانِ الحيِّ يَتحدَّثونَ عن قصصٍ لا يَستوعبُها عقلُ عاقلٍ راشدٍ يُميِّزُ الحلوَ مِنَ المُر، وبينَ تلكَ الحكاياتِ أنَّ شبَّانَ منطقةِ قِبلة يَعني مُواجهَة القِبلة التي يُدفنُ بها أمواتُ درعا البلدِ يُمارسونَ الجنسَ مع الحيواناتِ كالحميرِ والجحاشِ والبقر، ودارتْ الأيامُ وكبِرَ المراهِقون وتَزوَّجوا

وأنجبوا أطفالًا، وأصبح الآباءُ مُحافِظينَ يُصلُّونَ الصَّلواتِ الخمسِ ويَأمرونَ بالمعروفِ ويَنهونَ عن المنكر، ومنهم مَنْ حجَّ لبيتِ اللهِ الحرام ومنهم مَنْ

ساعدَ في إعمارِ مسجدٍ ومنهم مَنْ قُتِلَ شهيدًا في ثورةِ ما تُسمَّى الكرامة.

وعلى سيرةِ الكرامةِ أكرهُ فريقَ الكرامةِ

وأحبُّ فريقَ الشُّعلة، لأنَّ أبي كانَ يَأخذُنا عَنوةً إلى النَّادي الرِّياضي لتشجيعِ فريقِ الشُّعلة الفاشل الذي بينهُ وبينَ الحظِّ جورة خرا، ما إنْ يتَقدَّم خطوةً حتى يَقعَ في تلكَ الجورة، ومِنْ جورةٍ لجورةٍ ومِنْ طابوسةٍ لطابوسةٍ حتَّى يَسمعَ العالمُ صوتَنا بأنَّ البلادَ تَدمَّرتْ مِن أجلِ ثورةِ كرامة، وبعدَ تلكَ الكَلمة أضحتْ البلادُ عبارةً عن ركامٍ والناسُ تَشتَّتَتْ في أصقاعِ الأرض، ومنهم مَن ماتَ ردمًا

ومنهم مَن ذَهبَ بيتهُ هدمًا ومنهم مَن يَنتظر، سمعتُ أحدَ الرِّجالِ مِنَ الذينَ كانوا يُلاحقونَ حميرَ منطقةِ قِبلة يَقولُ بعدَ أنْ هُدمَ بيته:

نحنه شو عاملين يا الله ليصير فينا هيك!

الأسوأُ ليسَ فيما فعَلْنا، بل الأسوءُ بما تَفعلُهُ في الوقتِ الحالي، وبسببِ الانفلاتِ وإخراجِ الكبتِ هُنا وهناكَ على أساسِ أنَّ الوطنَ فلَتَ فلتة أخت شرموطة، عنوَنَتْ صحيفةُ الرَّأي العام الخبرَ الآتي:

خمسُمئةِ (500)طفلٍ لقيطٍ في سوريا تَرعاهمُ الدَّولة.

اِقرأ الرَّقمَ مرةً أخرى، شفت الأصفار؟

أي شفت!

تفو على شرفكم تمام هيك!

طبعًا هذا الرَّقم اِضربهُ بألفٍ لأنَّ الوكالاتِ السُّورية تُعطيكَ رقمًا وأنتَ ومخيّلتكَ اِضربْ الرَّقمَ بعددٍ ثنائيٍّ بطلع معك الخبر الصَّحيح، وأكملَتْ الصَّحيفة:

دمشق: كشفَتْ إحصائياتُ وزارة الشُّؤونِ الاجتماعيَّةِ السُّوريةِ عن أنَّ عددَ الأطفالِ اللُّقطاءِ في دُور الرِّعايةِ بلغَ ما يُقاربُ خمسمئةِ لقيطٍ مُوزَّعينَ في عددٍ من المحافظات، وأشارتْ إلى أنَّ عددَ اللُّقطاءِ في محافظةِ دمشقَ وصلَ إلى مئةٍ وخمسين لقيطًا في حين وصلَ عددُهم في محافظةِ حلب إلى سبعينَ لقيطًا وفي محافظةِ حمصَ أربعين لقيطًا في حين سجَّلتْ محافظةُ حماه خمسةً وثلاثينَ لقيطًا.

لك إنتوا بشر إنتوا؟

طيب لنُكمل ما قالتْهُ الصَّحيفة:

وأكدَّتْ الإحصائيَّاتُ أنَّ عددَ المَحاضرِ التي سُجِّلتْ في وزارةِ الدَّاخليةِ في الشَّهرين الماضيين تَجاوزَ العشرينَ محضرًا لأطفالٍ وُجدوا في الشَّوارعِ مشيرةً إلى أنَّ عددَ اللُّقطاءِ ارتفعَ عن الأعوامِ المُقبلةِ إضافةً إلى أنَّ هناك مئاتُ الأطفالِ فَقدوا أبويهم في المناطقِ التي تشهدُ نزاعًا دمويًّا.

وكشفَ القاضي الشَّرعي الأوَّل بدمشقَ محمود معراوي أنَّ عددَ اللُّقطاءِ ازدادَ في سوريَّة نتيجةَ فقدانِ الطِّفلِ لأبويهِ في الحربِ التي تَمرُّ بها سورية، موضِّحًا أنَّه لا بدَّ مِنَ التَّميزِ بينَ اللُّقطاءِ الذين وُلدوا منْ أبويينِ غير شرعيين وتخلَّيا عن الولدِ فأصبحَ مجهولَ النَّسب، وبينَ اللُّقطاءِ الذينَ فَقدوا والدَهم ولمْ يَبلُغوا سنَّ التَّميزِ، أي إنَّهم لا يَستطيعونَ تَذكُّر نسبهم.

ونقلَتْ صحيفةُ الوطنِ السُّوريةِ عن القاضي معراوي قوله: (إنَّ دمشقَ تستقبلُ في كلِّ أسبوعٍ معاملةً تتعلَّقُ باللَّقيط، مبيّنًا أنَّ دورَ القضاءِ الشَّرعيِّ هو تعينُ الوَصي على اللَّقيطِ بهدفِ القيامِ بكلِّ الأشياءِ التي يَحتاجُها الطفلُ اللَّقيطُ مِنَ الرِّعاية)

وبيَّنَ القاضي الشَّرعي الأوَّل أنَّه تَكونُ رعايةُ الأطفالِ اللُّقطاءِ في دُور الرِّعايةِ التَّابعةِ لوزارةِ الشُّؤونِ الاجتماعية، والتي بدورِها تَقترحُ على السَّجلاتِ المدنيَّةِ انتحالَ اسمٍ للقيطٍ حيثُ يقومُ مديرُ السّجلِ المدنيّ بإيجادِ اسمٍ وهميٍّ لهُ لافتًا إلى أنَّ هناكَ أشخاصًا قد يتقدَّمونَ إلى وزارةِ الشُّؤونِ الاجتماعيةِ بهدفِ رعايةِ اللَّقيط، وهنا يأتي دورُ القضاءِ الشَّرعيِّ باعتبارِ أنَّ الرَّاعي يَحتاجُ إلى وصايةٍ كي يَحقَّ لهُ التَّصرف بحقوقِ اللَّقيطِ مثل السَّفرِ والتَّسجيلِ في المدارسِ وغيرِها مِنَ الاحتياجاتِ التي تُمكِّنهُ مِنْ تَسييرِ وتصريفِ شؤونهِ الحياتيَّة.

وأكَّدَ القاضي معراوي على إلغاءِ القانونِ الخاصِّ باللِّقطاءِ عندما وُضعَ (قانون الأحوال المدنية) ولم يَضعوا حتَّى الآن قانونًا بديلًا للقانونِ القديمِ مع أنَّهُ لا بُدَّ مِن وضْعِ قانونٍ خاصٍّ باللُّقطاءِ ولاسيما أنَّ قانونَ الأحوالِ المدنيَّةِ ذَكرَ قواعدَ عامَّة عن اللُّقطاءِ ولم يَدخلْ في التَّفاصيلِ وبخاصَّةٍ أنَّ اللُّقطاءَ يَحتاجونَ إلى رعايةٍ خاصَّة باعتبارهم (مجهولي النسب)

وأشارَ معراوي إلى ضرورةِ إيجادِ قانونٍ خاصٍّ باللُّقطاءِ بعدَ إلغاءِ القانونِ القديمِ باعتبارِ أنَّ اللُّقطاءَ يُعاملونَ معاملةً خاصةً ومِن هذا المُنطلقِ لا بدَّ مِنْ تَقنينِ جميعِ الموادِّ التي تَتحدثُ عنهم في قانونٍ خاصٍ موضِّحًا أنَّ الموادَّ التي تَنصُّ على رعايةِ اللُّقطاءِ مُوزَّعةٌ بينَ قانونِ الأحوالِ المدنيَّةِ وقانونِ الأحوالِ الشَّخصية.

شيء برفع الإصبع الخنصر فعلًا وواااووو!

سوفَ يَكبرُ الطِّفلُ ويشتمُكُم عن بكرةِ أبيكم، وإذا أصبحَ فريسةً للأمراضِ النَّفسيةِ والأخلاقيةِ فهذهِ نَتيجة حربِكم مع بعضِكم بَعضا، لا تستَعملوا الحبَّ مِن أجلِ الجنس، لأنَّكم أممٌ فاشلةٌ بكلِّ شيءٍ وحتَّى بالجنس، لو بَقيتم تُلاحقونَ الحيواناتِ لتُفرغوا بها شهواتِكم الحيوانيةِ لكانَ أفضل، وعلى فكرة:

(لكُسي)

مجتمعُكم الكاذبُ أيَّها الحمقى الذين لا يعرفونَ ضميرًا حيًّا يا مَن تَقتلونَ كلَّ حيٍّ.

تفووو عا شرفكم.

10

(دخيل ريحة جراباتك)

{ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ }

إنّها ليلةُ السَّابعِ والعشرينَ مِن رمضان، ليلةٌ مباركةٌ لدى المسلمين، ليلةٌ يَتجلَّى بها اللهُ على المسلمينَ على وجهِ الخصوص، يَمسحُ الذُّنوبَ ويَغفرُ الخطايا ويَشفي العليلَ ويَحنو على الذَّليل، يَمسحُ بيدهِ التي تليقُ بجمالهِ وجلالهِ وكماله، يُغرقُ القلوبَ بالطُّمأنينةِ ويُشبعُ الأرواحَ بالأمانِ ويُغدقُ على الأفئدةِ النُّور، هنا فقط أقفُ على إطلالةِ الماضي حيثُ كانَ أبي تاركًا للصَّلاةِ ولكنَّهُ كانَ محرابَ حياتِنا ومِنبرَ سعادتِنا، لم يُمسكْ

مُصحفًا ولم ينحنِ لسجَّادةِ صلاةٍ ولكنْ كانَ ظلُّهُ صلاتَنا

وسلامَنا، في تلكَ اللَّيلةِ كانَ يَضعُ الشِّيشةَ ويَستمعُ لمهجةِ فؤادهِ أم كلثوم حيثُ كانت تُنشد:

القلب يعشق كل جميل

القلب يعشق كل جميل

القلب يعشق كل جميل

وياما شفت، وياما شفت جمال يا عين

القلب يعشق كل جميل

القلب يعشق كل جميل

القلب يعشق كل جميل

وياما شفت، وياما شفت جمال يا عين

واللي صدق في الحب

قليل، قليل وإن دام يدوم

يوم ولا يومين، ولا يومين

اللي صدق في الحب

قليل، قليل وإن دام يدوم

آه يوم ولا يومين، ولا يومين

اللي صدق في الحب

قليل، قليل وإن دام يدوم

يوم ولا يومين، ولا يومين

واللي هويته اليوم دايم وصاله دوم

اللي هويته اليوم دايم وصاله دوم

لا يعاتب اللي يتوب، ولا في طبعه اللوم

لا يعاتب اللي يتوب، ولا في طبعه اللوم

واحد ما فيش غيره، ملا الوجود نوره

دعاني لبيته لحدِّ باب بيته
واما تجلَّى لي، واما تجلَّى لي
واما تجلَّى لي بالدَّمعِ ناجيته، بالدَّمعِ ناجيته

القلب يعشق كل جميل
القلب يعشق كل جميل
القلب يعشق كل جميل

وياما شفت، وياما شفت جمال يا عين
القلب يعشق كل جميل
القلب يعشق كل جميل ..

إنَّ الإطلالةَ عبارةٌ عن فعلٍ ماضٍ ناقصٍ مِن صوتِه ورائحةِ تبغِ شيشَتِهِ وصمتِه الدَّائم في تلكَ اللَّيلة، شهدتُهُ رجلًا شريفًا مكافحًا يَسعى لجلبِ لقمةِ العيشِ

مِنْ عرَقِ جبينِه، كانَ وجههُ يُشبهُ البدرَ في ليلةِ القدرِ و:

سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ!

كنتُ أرى لصوصَ الوطنِ والمُرابين نَهبوا حقَّ اليتيم، ومُختلسي إرثَ أخواتِهم وتُجَّارَ الحشيشِ والمخدِّراتِ والدُّخان والسياسيينَ وعلماءَ الدِّين المنافقين والمتعصِّبينَ والموسميينَ الذينَ لا يَعرفونَ اللهَ سوى في هذهِ اللَّيلة، يَصطفُّونَ جميعًا في الجامعِ الكبيرِ في درعا البلد كأسنانِ المُشطِ ويَطلبونَ مِنَ اللهِ المغفرةَ والرَّحمةَ وكانَ صراخُ المُؤمنينَ والمُنافقينَ يَرتفعُ مع صوتِ أم كلثوم وهي تقول:

دعاني لبيته لحدِّ باب بيته
واما تجلَّى لي، واما تجلَّى لي

واما تجلَّى لي بالدَّمعِ ناجيته، بالدَّمع ناجيته

وكانوا يَقولونَ مع صوتِ الإمام:

آمين!

كانَ المظلومونَ والظَّالمونَ يَجمعُهم بيتٌ واحدٌ يَدعونَ على بعضِهم ويَتمنَّونَ لبعضِهِم أخذَ القصاصِ لهم، وكانت أصواتُهم تُناطحُ السَّحابَ مع مقطعٍ لأمِّ كلثوم:

لا يعاتب اللي يتوب، ولا في طبعه اللوم
واحد ما فيش غيره، ملا الوجود نوره...

كانتْ أمي تُعدُّ حلوياتِ العيد، رائحةُ الهالِ مع الشُّومرِ مع أغبرةِ الطَّحينِ قد شمَّرتْ خلفَ الفرنِ وهي تَهزُّ رأسَها لمقطعِ أم كلثوم الذي يقول:

وياما شفت، وياما شفت جمال يا عين
واللي صدق في الحب
قليل، قليل وإن دام يدوم...

وكانَ النَّاسُ يَنتهونَ مِن صلاةِ قيامِهم مع انتهاءِ أمي لإعدادِ حلوياتِ العيد، في هذهِ الفِقرة مِنْ سيناريو الماضي وفي الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيلِ يَضعُ أبي أغنيةً لأمِّ كلثوم:

يا ليلة العيد آنستينا وجددتِ الأمل فينا يا ليلة العيد
يا ليلة العيد آنستينا وجددتِ الأمل فينا يا ليلة العيد
هلالك هل لعينينا فرحنا له وغنينا

هلالك هل لعينينا فرحنا له وغنينا

وقلنا السعد حيجينا على قدومك يا ليلة العيد

يا ليلة العيد آنستينا وجددتِ الأمل فينا يا ليلة العيد...

كانوا بالنِّسبةِ لنا عيدًا، وجهُ أبي ووجهُ أمي النظرُ إليهما أجمَل مِنُ ليلةِ القدرِ

والإمامِ والمُصلِّينَ الدَّاعين والمتوسِّلين، لقد كانوا أي نعم، وبقوا في الذَّاكرةِ

والذي جعلَ لكم ليلةً ميزانُها في قصعةِ اللهِ خيرٌ مِنْ ألفِ شهر، تفوحُ شُقوقُ الذَّاكرةِ برائحةِ الحلوى التي أعدَّتها أمِّي

وبصوتِ أم كلثوم الذي كانَ يَستمعُ لهُ أبي، وبأصواتِ الفرحةِ في كلِّ مُخيِّلتي.

لقطةٌ جميلةٌ كانَ يُعدُّ أبي الأموالَ لنا

ولأبناءِ عمِّي كي يُدخِلَ الفرحةَ إلى قلوبنا.

مِنْ بعدِكم يا أحبابَ الحياةِ لم يَعدْ لها معنى يا كلَّ المعنى.

رحمَ اللّهُ أفئدةً مَزَّقتْ أحشاءَنا بفقدِها و:

(لكُسي)

الحياةُ مِنْ بعدِكم يا زينةَ وجودنِا ورائحةَ العطرِ في قلوبِنا و:

سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

11

(دخيل ريحة جراباتك)

[توريثُ عَقيدةِ الآباءِ للأبناءِ جريمةٌ بحقِّ العقل]

أنا متأكِّدٌ من انزعاجكَ الآن، وأمامكَ أحدُ ثلاث خياراتٍ بسببِ هذهِ النظريةِ التي لمْ تُعجبك،

الخيارُ الأوَّلُ: بإمكانكَ أنْ تُغلقَ الكتابَ

وتَكتبَ على الفيسبوك بأنَّ صاحبَ هذا الكتابِ أحمقُ أو مصابٌ بانفصامِ في الشَّخصيةِ أو أنْ تُطلقَ عليَّ تُهمةَ الكفرِ

والرِّدةِ والشِّركِ باللهِ أو أنْ تَمسحَ باسمي مجاري السوشل ميديا.

الخيارُ الثَّاني: بإمكانكَ أنْ تَتجاهلَ النَّظريةَ المنطقيَّةَ لأنَّها لا تَتماشى مع قيَمكَ ودينكَ وعاداتِكَ وتقاليدك.

الخيارُ الثَّالث: بإمكانكَ أنْ تُكملَ لأنَّكَ تقرأُ شيئًا غيرَ مُكرَّر لدى بَقيَّة الكُتَّابِ الذين يَحومونَ حولَ فكرةٍ واحدةٍ يُركِّبونَ منها العباراتِ اللَّامعةِ تارةً وتارةً يُجيِّشونَ لأجلها الأدلَّةَ الطَّائفيَّةَ والفلسفيَّةَ ليُثبتوا للعوام بأنْ ظهرَ الحقُّ وزَهَقَ الباطل.

أنا ضدُّ التَّوريثِ التَّرهيبيِّ للفردِ على وجهِ الخصوصِ وللمجتمعِ على وجهِ العموم، لماذا لا تَدَعوا الأبناءَ يَختارونَ دينَهم أو حتَّى إلحادهم إذا صحَّ التعبير؟

ما الفائدةُ بالكثافةِ السُّكانيةِ حولَ فكرةٍ ما نطقها رجلٌ ما وأصبحتْ دستورًا تُلَقَّنَ بالجلدِ والتَّرهيبِ وتعطيلِ العقلِ البشري؟

في أغلبِ الدِّياناتِ السَّماوية

مَنْ يَخرجُ عن دينِهِ سوفَ يُعاقبُ بالقتلِ أو بالجلدِ أو بالسِّجن، وعلى فكرة كلُّ تلكَ العقولِ محكومٌ عليها بالسِّجنِ المؤبَّدِ حتَّى الموت ومع أنَّني على يقينٍ بأنَّ عقولَهم ميّتةٌ لأنَّها مُؤطَّرةٌ ضمنَ حدودٍ مُقفَلٌ عليها بقِفلٍ طائفيٍّ وقومي،

والمصيبةُ أنَّ آفةَ الانغلاقِ يَتسابقُ عليها روَّادُ النُّصوصِ بالتَّضييقِ ذرعًا على مُهمَّةِ المَنطِق، والمنطِقُ عبارةٌ عن تمثالٍ شامخٍ كتماثيلِ الرُّؤساءِ والملوكِ العربِ في أغلبِ البلدانِ الدِّكتاتورية، تماثيلٌ تُعبدُ داخلَ منظومةِ الوراثةِ المُخيفةِ منَ الآلهةِ

والحاكمِ والمُحيطِ المُحنَّط، لا يُمكنكَ أنْ تُناقشَ قضيةَ فكرةٍ مع مجتمعٍ يَعتقدُ بأنَّ مُفتاحَ الجنَّةِ بيدهِ يُدخلُ بها مَنْ يَشاءُ

ويُخرِجُ منها مَنْ يَشاء!

لدينا معادلةٌ صعبةٌ وبحاجةٍ لشجاعةٍ مِنْ أجلِ التَّخلُّصِ مِنْ نفاياتِ الماضي الطَّائفيةِ والقوميَّةِ فلنبدَأ إذا:

المشيئة + الخوف = فردٌ مبرمجٌ على العبودية.

أو = فوضى حيوانيةٌ مكبوتةٌ تَقتاتُ على الوهمِ وتُقاتلُ في سبيلهِ وتَموتُ شهيدةً لتصلَ إلى ذاك الوهم، وطبعًا كله بالهراءِ التَّرهيبيّ والتَّعنيفيّ لما سيَحدثُ بعد الوهم.

إذا لاحظتَ على مدارِ التَّاريخِ كيفَ يَستعملُ مُروِّجو الأحلامِ الخلَّبيةِ
والأوهامِ الأسطوريةِ أداةَ الرُّعبِ
وتَجييشِ الخوفِ الجحيمي لتخطِّي ما بعدَ دائرةِ المخطَّط الإلهي، ستجدُ أنَّ الجميعَ حبيسُ تلكَ الخرافة، وعلى ذلكَ المُخطَّطِ يَنحسرُ الإبداعُ ويَبقى مُجرَّدَ خيالٍ

وأُسطورةٍ يتمنَّاها ملايينُ الأجيالِ المَسحوقةِ بينَ رَحى الدِّين والقوميَّة،

وستَكتشفُ كيفَ يَسطو الجهلُ والتَّخلفُ على تلكَ البقاع، وكيفَ يُحكمُ عليهم بالسِّجنِ المؤبَّدِ داخلَ وطنٍ يَحكمُهُ شخصٌ أحمقُ جعلَ من الناسِ عبيدًا لهُ

ولمنْ سيَرثُه مِنْ بَعده.

فجأةً استيقظَت الشُّعوبُ تُطالبُ بكابوسٍ مُرعبٍ في أدمغةِ الحكَّام والسَّجان، كلمةٌ واحدةٌ فقط أَسقطَت أقنِعةَ الشُّعوبِ

والحكَّام، لا الشَّعبُ يَعرفُ معناها ولا الحاكمُ يَقبلُ صداها، كلمةٌ دُفِعَ ثمنُها باهظا، أرقامٌ وأسماءٌ وأشخاصٌ كانوا على مدارِ التَّاريخِ عبيدًا يَنتعِلونَ أهواءَهم إلى أوهامٍ أخرى:

(الحريَّة)

لو سألتَ أيَّ أحدٍ منهم ما هيَ الحريَّة التي تُطالب بها؟

سوفَ يقولُ لكَ كما تَلقَّاها مِن مدَّعي الحرية:

الإحاطةُ بالحاكمِ المُستبدِّ!

طيب يا ماما وبعد ذلك ما هي الخطَّةُ لتلكَ الحرية؟

الجواب:

هو يرحلُ وكل شيءٍ بعدهُ يهون!

الله الله على الإجاباتِ غيرِ المَنطقيَّة، المُصيبةُ أنَّ هذهِ الأدمغةَ المُقفلةَ تُريدُ الخروجَ مِن ظالمٍ وتَقعُ في

فوضى مِنَ الظُّلمِ والظُّلمة، تخيَّل بأنَّهم يُريدونَ الخروجَ مِنْ حُكمِ العسكرِ المُستبدِّ الظَّالمِ ليُواجِهوا واقعَهم بالهيئاتِ الشَّرعيةِ التي تُسيطرُ على حريَّتهم، سوفَ تُغطى وجوهُ النِّساءِ وتُغلقُ المقاهي ويُسجنُ المُفكِّرونَ ويُفرضُ نظامُ الحسبةِ وتُصادرُ وتُنهبُ ثرواتُ الوطنِ وتُوضعُ في بنكِ بيتِ المُسلمينِ وغيرِ المُسلمينَ معهُم ثلاث خيارات:

إما الدُّخولُ في الدِّين أو دَفعُ الجزية أو القتل!

هل هذهِ هيَ الحرية؟

الحريةُ أنْ تُفكِّرَ بصوتٍ عال، أنْ تَكتبَ

ولا تَخاف، أنْ تتجرَّدَ مِنَ الوهم وتُواجهَ الواقِع بالمنطق وتَحفظَ حقوقَ وأفكارَ

وميولَ ورغباتِ الآخرين، مفهومُ الحريةِ واسعٌ جدًّا ولا حدودَ له، وإذا أَطَّرَ بعضُ الجهلةِ مفهومَ الحريةِ فلا ضيرَ بأنْ تصفَهم بالجماعاتِ المتطرِّفةِ التي تريدُ استغلالَ المجتمعِ تحتَ إطارِ الدِّينِ لتنهبَ وتسرقَ وتقتلَ وتعيثَ في الأرضِ فسادًا، وقد عرَّفتْ منظمةُ حقوقِ الإنسانِ تركَ أو دخولَ دينٍ جديدٍ بما يلي:

الحريةُ الدينيةُ أو حريةُ المُعتقدِ أو حريةُ التَّعبُّدِ هو مبدأٌ يَدعمُ حريةَ الفردِ أو مجموعة (في الحياةِ الخاصَّةِ أو العامة) في إظهارِ دينِهم أو مُعتقداتِهم أو شعائرهم الدِّينية سواء بالتَّعليمِ أو الممارسةِ أو الاحتفال، ويشملُ المصطلحُ كذلكَ حريةَ تَغييرِ الدِّين أو عدمَ اتِّباعِ أي دين.

هذهِ هيَ الحرية، فالإكراهُ والتَّعصبُ

والإجبارُ والتَّعنيفُ واستعمالُ الضَّغطِ كالقتلِ والضَّربِ والحرقِ ورميِ الفردِ مِنْ علوٍّ شاهقٍ مُخالفٌ لمفهومِ الحرية.

كلمةٌ صغيرةٌ لكلِّ شخصٍ يُريدُ التَّركَ أو الدُّخولَ إلى أيِّ دين، ضَعْ نُصبَ عينيكَ الشَّجاعةَ وبأنَّكَ ستَدفعُ الثَّمنَ باهظًا

وأهم شيء أنْ تَفهمَ معنى:

(لكُسي)

وأنا معكَ مهما كنت، وكيفما تَكون، وكيف ستكون، أنا معكَ لأنني أحدُ ضحايَا التَّركِ ودُخولِ عالمٍ جديدٍ لأكتشفَ ذاكَ الفضولَ الموجودَ في داخلي.

12

(دخيل ريحة جراباتك)

[الفكرةُ ذاتُ طابعٍ غير إكراهي، فكرةٌ مُتناقضةٌ ومُشبعةٌ بالكراهيَّةِ]

المُطالبةُ بالحريةِ شيءٌ مُهمٌّ جدًّا للحفاظِ على هويةِ الفردِ قبلَ المُجتمع، الحريةُ باهظةُ الثَّمنِ بالرُّوحِ والنَّفسِ وانفعالاتِ الإنسانِ من نِتاجٍ فكريٍّ واقعيٍّ طبقيٍّ مُسيَّسٍ لمِصالِح مافيا ذات طابعٍ دينيٍّ قوميٍّ لسحقِ وتهميشِ العقلِ البشري، إنَّها مافيا منكم وفيكم يَتكلَّمون بلُغتِكم، يَتحدَّثونَ عن همومِكم، يُدافعونَ عن دينِكم وقوميَّتِكم واتجاهاتِكم، يُطالبونَكمْ بأنْ تَعملوا جيِّدًا كي تَحصلوا على رغيفِ الخبز، وعندما تَصلونَ إلى

رغيفِكم يَتقاسمونَ لقمتَكم وأنتم راضونَ بالذُّلِ لأنَّ الذُّلَ جزءٌ لا يَتجزَّءُ مِنْ حياتِكم الخاصَّة والعامَّة، لم يَبقَ إلاَّ وأنْ يَناموا على أسرَّتِكم ليَناموا بينَكم وبينَ زوجاتِكم!

وينجِبوا جيلًا يُصفِّقُ ويُطبِّلُ ويُبروِزُ صورةَ أبنائِهم الذين سيَرثونَ سجونَكم

وحريتَكم وأفكاركم، هم منْ سيَرسمُ لكم واقعَكم ويُجهضَ أيَّ فكرةٍ تُخالفُ مطامعَهم ومصالحَهم وكراسيِّهم.

يقولون لك: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}

وبكلِّ عفويةٍ تُصدِّقُ ما قد نزلَ على غارٍ في جوفِ جبلٍ صعدتَ إليهِ مَشيًا على قدميكَ في مدةٍ زمنيةٍ

تُقارب 45 دقيقةً لأرى بها نورَ البجكتوراتِ التي تُضيءُ قريةَ مكةَ التي يُسمُّونها: (أم القرى)

وعلى هذا المنوالِ تَبني فرضيةَ اعتناق ما تُريدُ مِنْ دينٍ أو تَركِ دينٍ آخر مِنْ بابِ أنَّ لا إكراهَ في الدِّين، ولكنْ سوفَ تتفاجأُ بما يلي:

{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا}

وأيضًا:

{مُرُوا أولادَكم بالصَّلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عَشْر، وفرِّقوا بينَهم في المضاجِع}

نصوصٌ كثيرةٌ لم أجِدْ فيها رابطًا بينَ عدمِ الإكراهِ على الدِّينِ وبينَ الضَّربِ

والعنفِ والإكراه، الأممُ المُنغلقةُ على الدِّينِ مشغولةٌ بما تَقصدِهُ الآلهة، أبحاثٌ

وجهودٌ وصروحٌ وإهدارٌ في الأموالِ

والأنفسِ والثَّمراتِ لقتلِ العقلِ وإشغالهِ بتفاهاتِ التَّصنيفِ والتَّصفيقِ والتَّطبيلِ

والتَّزمير، وبالنسبةِ للوطنِ عِبارة عن مسرحيةٍ هزليَّةٍ فِلكلوريَّةٍ مُدمِّرةٍ ومُفتِّتة، بداية بالبنيةِ التَّحتيةِ إلى رأسِ الأفعى ألا وهوَ الشِّيطانُ الأكبرُ الذي صوَّتَ لهُ النَّاسُ بحجَّةِ أنَّه حامي الحِمى ومالكُ مُلوكِ الأرضِ والسَّماء، وعندما تُناقشُ الفردَ في تلكَ البقعةِ عن الحضارةِ فسوفَ يقولُ لك:

كنَّا كذا وكذا!

وأنا سوفَ أُصدِّقهُ وأضعُ بينَ يديهِ النَّص التالي:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}

نعم كنتُم خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للنَّاس، كنُتم فعلٌ ماضٍ ناقصٍ مِنْ غيابِ العقلِ
وانحلالِ الجهل، ما هي المُشكلةُ إذا تَركَ أحدٌ مِنْ بني جلدتِكم دينَهُ وتَحوَّل إلى دينٍ آخر!

أَلَستُم أنتم مَنْ تُهلِّلونَ وتُكبِّرونَ إنْ دخلَ أحدٌ لدينِكم؟

ما هي المشكلةُ طالما أنَّ لا إكراهَ في الدِّين؟ ولماذا يُقتلُ ويُهدَّدُ ويُشهَّرُ بهِ
ويُسجنُ أو يُهجَّر إلى منفًى آخر!

لي صديقٌ عراقيٌّ في النِّمسا قررَّ تغييرَ دينِه عن قناعة، راحَ أهلُهُ في العراقِ يُرسلونَ لهُ برقياتِ القتلِ والذَّبحِ كلَّ يوم، الرَّجلُ فقدَ عقلَهُ بسببِ كميَّةِ الرُّعبِ التي لحقَتْ بشخصيَّته!

عندما تَرى نفسكَ في المكانِ الخطَأِ بين أناسٍ مُتناقضينَ ومُشبَعينَ بالخطَأِ كلُّ ما عليكَ فِعلهُ هو تفعيلُ نظرية:

(لكُسي)

عليكَ أنْ تفهمَ كفردٍ أنَّ هذهِ حياتكَ وأنتَ صاحبُ القرارِ بكلِّ شيءٍ تُريدهُ ولكنْ بشرطِ ألاَّ تُعنِّفَ الآخرينَ ولا تُرهبَ أحدًا بسببِ دينِه أو قوميَّته، وأضعُ بينَ يديكَ مُقرَّرَ مُنظَّمة حقوقِ الإنسان:

يُقصدُ بالحقّ في حريَّة الدِّينِ أو المُعتقدِ في إطارِ مَنظومةِ حُقوقِ الإنسانِ حريةُ الفردِ في اعتناقِ ما يشاءُ مِنْ أفكارٍ دينيَّةٍ أو غير دينية.

قامتْ اللَّجنةُ المعنيَّةُ بحقوقِ الإنسانِ في عام 1993م، وهي لجنةٌ تُشرفُ على تَنفيذِ العهدِ الدوليّ الخاصِّ بالحقوقِ المدنيةِ والسياسية، وتتشكلُ من ثمانيةِ عشرَ خبيرًا يُنتَخَبونَ مِنْ قِبَلِ الدُّولِ الأطرافِ في العهد، بالإشارةِ إلى أنَّ المقصودَ بالدِّينِ أو المُعتقدِ ضمنَها يَتمثَّلُ في: معتقداتٍ بوجودِ إله، أو في عدمِ وجودهِ أو معتقداتٍ مُلحدةٍ بجانبِ الحقّ في عدمِ مُمارسةِ أي دينٍ أو معتقد.

إنَّ الدِّياناتِ والمُعتقداتِ تَجلِبُ الأملَ والسَّلوى إلى المليارات مِنَ الأفراد، كما لها تأثيرٌ على المساهمةِ في تَحقيقِ السَّلامِ والمصالحة، إلا أنَّها مِنْ ناحيةٍ أخرى كانتْ مصدرًا للتَّوترِ والصِّراعات، هذا التَّعقيدُ بجانبِ صُعوبة تَعريفِ الدِّينِ أو المُعتقدِ يَنعكسانِ في التَّاريخِ النَّامي لحمايةِ حريَّةِ الدِّينِ أو المُعتقدِ في إطارِ القانونِ الدوليّ لحقوقِ الإنسان.

اِخترْ حياتَكَ بنفسِكَ ولا تُعطِ لأحدٍ مِقودَ عقلكَ وعِشْ بسلامٍ وأمان.

13

(دخيل ريحة جراباتك)

[مَن هوَ الحمارُ الذي قال: إنَّ الحبَّ هوَ مصدرُ السعادة؟]

بالنَّيابةِ عنِّي وعن كلِّ مَنْ أحبَّني وكرِهَني في آنٍ واحدٍ أعتذرُ أشدَّ الاعتذارِ عن الهيئةِ الإداريةِ القوميةِ لكلِّ الحميرِ المُنتشرةِ في أصقاعِ الأرضِ على وجهِ الخصوص وحميرِ الوطنِ العربيِّ هذا إنْ بقيَ حميرٌ على وجهِ العمومِ وأبدأ:

آحاااا أما بعدُ وبسمفونيَّةِ النَّهيقِ نَستعين، مِنْ مُعضلاتِ الدراما بأنَّنا نُواجهُ الواقعَ بالخيالِ ونُصارعُ

المشاعرَ بالحقيقة، ونتَلوَّنُ بالكذبِ والنِّفاقِ حتَّى يَرى الآخرونَ بأنَّ حبَّنا هوَ المعجزةُ الإلهيَّة التي يَصعبُ فكَّها بأيِّ مفكٍّ رنش!

الجميعُ في مباراةٍ حنونةٍ في حَلْبةِ ثيرانٍ هائجةٍ ولكنْ مِنْ غيرِ حَكم، نَظنُّ أنفسَنا نحنُ الثُّورُ والحَلْبةُ والجمهورُ والحكمُ في آنٍ واحد، ولكنَّ الحبَّ جالسٌ في استديو صغير استَأجَرهُ مِنْ سِكِّير عربيدٍ قد بَنى مبنًى كعُلَبِ الكبريتِ يُؤَجِّرُها لقليلي الحظِّ كالحبِّ والأمانِ والأملِ والسَّلامِ

والرَّحمةِ والفؤادِ في زريبةٍ واحدة، ليأخذَ أجرةَ الاستديوهات مِنَ المُستأجرينَ

ويُنفقَ الأموالَ في الحاناتِ وبيوتِ الدَّعارةِ والمخدِّراتِ ولعبِ القمار.

ما الفرقُ بينَ المُستَأجرِ والمُؤَجِّر؟

كالفرقِ بينَ الحبِّ ومَنْ يَدَّعونَ الحبَّ بالضبطِ ولكنْ مع شويةِ مخلَّل وكتشَب

وعصرةِ ليمونة زكاتك!

لا شيءَ يَأتي إلينا مِنْ عالمِ السَّعادةِ مِنْ غيرِ دفعِ الثمن، والحبُّ أيضًا لمْ يَفهمْ مَعناهُ ولا مُبتغاهُ أحد، وإنْ تَدفعْ تَذكرةً للوصولِ إلى الحبِّ فستَختلِقُ كذبةَ الحبِّ للوصولِ إلى الرَّغبة، 99.99% مِنَ البشرِ يَتَّخذونَ مِنَ الحبِّ وسيلةً للإفراطِ في تعاطي الرَّغبة، يَتنَّكرونَ بالحبِّ ليَصطادوا جشَعهم وطمعَهم وجُنونهم، إنَّها جائحةُ الرَّغبةِ أسوأُ مِنَ الجائحاتِ التي تَقتُلُ ملايينَ البشرِ كالفايروسِ والزَّلازلِ

والفيضاناتِ والطُّوفانِ والأعاصير، ليسَ الحبُّ مُضاجعةً ولا مُفاخذةً ولا لعقًا للصُّدورِ ولا تَقبيلَ المؤخراتِ و لا مَصَّ الفروجِ ولا مُداهنةً حولَ الضحيَّة، وحتَّى لا يَصطادَ مُدَّعو الإنسانيةِ في الماءِ

العكرِ يَجبُ أنْ نُفرّقَ بينَ الحبّ والجنسِ وكِلا الطَّريقينِ بحاجةٍ إلى إنسانية.

أنسنةُ الحبّ وأنسنةُ الجنس، وكلا الطَّرفينِ مَصدرهما العقل، لا أساسَ لمضخَّةِ الدَّمِ التي نُطلقُ عليها القلبَ هنا، ولا أساسَ للأعضاءِ التَّناسليَّةِ فيما يَخصُّ الحب، لا فرقَ بينَ الحيواناتِ والبشرِ في الجنسِ ولكنَّ الحبَّ هبةٌ تُقذفُ في عقلِ المُتعقِّل؛ يَتفاعلُ معها القلبُ نبضيًّا فقط

وتتحرَّكُ معها الأعضاءُ كيميائيًّا، وليسَ الحبُّ سعادةً أبدًا لأنَّ الوصولَ إلى الحبّ بحاجةٍ إلى ألمِ الشَّوقِ والعشقِ واللَّهفةِ

والهُيامِ والوئام، كلُّ ما ذكرتهُ آنفًا هو ألم، وإذا كنتَ في مجتمعٍ مُحافظٍ عليكَ أنْ تَدفعَ ثمنَ الحبّ مَهرًا مِنْ مُقدَّمٍ أو مُؤَخرٍ المهمُّ عليكَ أنْ تَخسرَ لتصل!

الكُتَّابُ والموسيقيُّونَ والرَّسامونَ يَدورونَ في حلقةٍ مُفرغةٍ لاصطيادِ سمكةٍ وإذا جحَّشَ أحدُهم وقال:

(لا)

أُبصق في مُنتصفِ وجهِه وقُل له:

تلحس طيزي.

الرسمُ والكتابةُ والموسيقى ضربٌ مِنَ الخيال، يَستغرقُ رُوَّادُ هذهِ المُهمَّاتِ مِنْ أعمارِهم وأموالِهم وحياتِهم مِنْ أجلِ التَّرويجِ لكذبة.
شيءٌ لمْ يَفهموا فلسفتَهُ ألا وهوَ الحب، طوالَ حياتِهم يَهربونَ مِنْ مُواجهةِ الواقعِ إلى الخيال، ويَقفزونَ فوقَ السُّؤالِ الذي يُجرِّدُ كذبهم:

أكُلُّ هذا التَّصنُّع والتَّقنُّع في الحبِّ لتُضاجعوا فريسة؟

أَيُعقلُ ألاَّ تُواجهَ الواقعَ بالواقع؟ ماذا سيَحدثُ لو صَنعتَ شيئًا حقيقيًّا؟

الذي سيَحدثُ بأنَّكَ أبدعتَ فعلًا.

الخيالُ ليسَ إبداعًا بلْ كذبةً مُؤَطَّرةً أو مصيدةً مُنمَّقةً لِلَعقِ خراء الجنسِ خصوصًا والرَّغباتِ الأخرى عمومًا، بكلِّ الأحوالِ كانتْ قفزَتي واقعيةً لكلِّ سؤالٍ سوفَ أوجِّهه، لن أُكملَ بقيَّةَ حياتي كاذبًا مُنتعلًا جائحةَ الخيالِ للوصولِ إلى الجنس، وحتَّى بعدَ ما يُسمى بالحبِّ هناكَ ألمٌ آخر يُدعى ألمُ الانفصال، ولكنْ ليسَ كما عَنونَ موقعُ (وكالات الإماراتية) في 21 نوفمبر مِنْ عامِ 2018 م ما يلي:

(امرأةٌ عربيةٌ تَقتلُ حبيبَها في الإماراتِ وتُطعمُ لحمَهُ لجيرانِها)

يقولُ التَّقرير:

ارتكبتْ امرأةٌ مَغربيَّةٌ مُقيمةٌ في العينِ بالإماراتِ جريمةً مِنْ أشنعِ الجرائمِ في العالم، حينَ قتَلتْ صديقها، وقطَّعتْ جثتَهُ ثم طهتْهُ في طبقِ أرزٍّ ولحم، وقدَّمتْهُ لمجموعةٍ مِن عُمَّالِ البناء قُربَ منزلِها.

ففي جريمةٍ صادمةٍ هزَّتْ الإمارات، بطلتها امرأةٌ مِنَ الجنسيَّةِ المغربية، وجَّهَ الادعاءُ العامُّ في مدينةِ العينِ اتهامًا لسيّدةٍ فتيَّةٍ بقتلِ صديقها وتَقطيعِ جثتِهِ وطبخها، قبلَ تقديمِها كوجبةٍ لعمَّالٍ باكستانيين.

ونقلَتْ وكالةُ "أسوشيتد برس" الثَّلاثاء 20 نوفمبر، عن صحفٍ إماراتية، إنَّ المرأةَ المغربيةَ قتَلتْ صديقَها في إمارةِ العين، وقامتْ بطهيِ جثتِهِ في طبقٍ تقليديٍّ

إماراتي يُسمَّى "المجبوس" قدَّمتْهُ هديةً إلى مجموعةٍ مِنَ العمالِ الباكستانيين.

ورجَّحت الوكالة أنْ تكونَ الموقوفةُ في هذه القضية قد أقدمَتْ على هذهِ الجريمةِ البَشعةِ عندما أخبرَها صديقُها بنيَّتهِ الزَّواجَ مِن امرأةٍ غيرها، مُشيرة إلى أنَّ الرَّجلَ قُتل قبلَ ثلاثةِ أشهر، لكنَّ الجريمةَ لم تَظهَرْ إلاَّ في الأيامِ الأخيرة، بعدَ أنْ ذهبَ شقيقُهُ للبحثِ عنهُ في بيتِ الموقوفة، فعثرَ على أسنانٍ بشريةٍ داخلَ خلاَّط.

وأثبَتَتْ اختباراتُ الحمضِ النَّوويّ أنَّ المحتوياتِ التي عُثر عليها في الخلاَّطِ تعودُ إلى المُتوفَّى وهوَ في العشرينات مِنْ عُمره، أي بعمرٍ أصغَر مِنْ عُمرِ المتَّهمةِ التي هي في الثَّلاثينيَّات مِن عُمرها.

وذكرَتْ النِّيابةُ العامَّةُ في العين، أنَّ المتَّهمةَ ارتكبَتْ جريمتَها البشعةَ بعدَ أنْ أخبرَها صديقُها أنَّهُ سيتزوَّجُ ابنةَ عمِّه وهو أيضًا مِنَ المغرب.

وفي 13 نوفمبر الجاري، ظهرَتْ تقاريرُ عن الرَّجلِ المفقودِ في مصادرَ إعلاميةٍ مغربية، وبعدَ اختباراتِ الحمضِ النووي، أكدَّتْ النَّتائجُ أنَّ الأسنانَ تعودُ للرَّجلِ القتيل، ليُلقى القبضُ على المرأة.

وأوضحتْ صحيفةُ The National الإماراتية، أنَّهُ في الاستجوابِ أنكرَتْ المرأةُ التي لمْ تَكشفْ الشرطةُ عن اسمها في البدايةِ أيَّ تورُّط لها، ولكنَّها اعترفتْ بعدَ ذلكَ بقتلِ الرَّجلِ في لحظةِ جنون.

وعندما عرضَتْ الشرطةُ على المرأةِ الأدلَّةَ التي تَملكُها ضدَّها انهارَتْ واعترَفتْ بأنَّها قتَلتْ حبيبَها

للانتقام، لكنَّها تظاهرَتْ بأنَّها مريضَة عقليًّا، وأصرَّتْ على أنَّها ارتكبتْ الجريمةَ في حالةِ جنون.

وأُرسِلَت المرأةُ إلى المستشفى لإجراءِ فحوصٍ طبيَّةٍ لتشخيصِ حالتِها العقلية.

وأخبرَتْ المُتَّهمةُ الشرطةَ أنَّ شهوةَ الانتقامِ سيطَرت عليها وعلى سلوكِها بعد أنْ ظلَّت لسبعِ سنواتٍ تُقدِّمُ لصديقِها مساعداتٍ ماليةٍ وغيرَ مالية، فأقدمَتْ حينَ تأكدَّتْ أنَّها ستفقِدُهُ للأبدِ لزواجهِ مِنْ امرأةٍ غيرها على تَقطيعِ جثتهِ وطلبَتْ مِنْ أحدِ أصدقائِها مساعدتَها للتَّخلصِ منها.

وحسبَ الصحيفةِ الإماراتية، فإنَّ المرأةَ اعترفتْ بأنَّها استخدمَت الخلاَّطَ الكهربائي لإضافةِ لحمِ جسدِ شريكِها السَّابقِ إلى باقي مُستحضراتِ طبقِ "المجبوس" ثمَّ طبخِه بمشبَك، قبلَ تقديمِهِ لمجموعةٍ

مِنَ العمَّالِ الباكستانيين الذينَ كانوا يَعيشونَ في الجوار.

وأثناء استجوابِ الشرطة الإماراتية لإحدى صديقاتِ المتَّهمة، قالت: إنَّها لم تَشهَدْ الجريمة، لكنَّها أكَّدَت أنَّها شاهدَتْ بقعَ دمٍ في منزلِ المرأة.

وتقولُ الشرطةُ الإماراتية، إنَّ المرأةَ المغربيةَ ستُواجهُ المحاكمةَ بعدَ اكتمالِ التحقيقِ الكاملِ في هذهِ الجريمةِ الصَّادمةِ التي هزَّت الإمارات بأكملها.

المصدر: وكالات.

ويضرب الحب شو بذل، وأصلًا:

(لكُسي)

الحبُّ ورُوَّادُه، يعني ضَروري أنزِّل اسم أنثى في دفترِ العائلة، ولشو دخلك؟

ومشان مين! مشان يحكوا العالم إنو حبيت؟

(لكُسي)

العالمُ والحبُّ والجنسُ بقلب بعضو.

14

(دخيل ريحة جراباتك)

[التَّبذيرُ في المشاعرِ جريمةٌ يُحاسِبُ عليها العقل]

نَبتتُّ مع رائحةِ الخُبز مِنْ فُرنِ الطوس في حوران،
أصواتُ الدِّيكةِ تُزغلِطُ مع خروجِ رُوَّادَ صلاةِ الفجر،
تَزحفُ الجدَّاتُ أمامَ البيوتِ القديمةِ لممارسةِ رياضةِ الكنسِ
والشَّطف، ودخانُ الجرَّاراتِ يَجرُّ خلفَهُ عبقَ المازوتِ الوطنيِّ المَغشوش، بومةٌ مَبحوحةُ النَّعيقِ يَختفي صَداها، وأمي استيقظَتْ مِنَ النَّومِ للتَّو لتُعدَّ الإفطار
وتتأكَّدَ مِنْ مَصدرِ شخيرِ أطفالٍ لا مُستقبلَ لهم في وطنٍ كلُّ ما فيهِ في جيبِ لصِّ الوطن.

الوطنُ كالكذبةِ تمامًا، نَبكي على الذَّاكرةِ بحجَّةِ شوقِنا للوطن، بل هناكَ شيءٌ أغبى مِنَ الشَّوقِ والحنينِ ألا وهوُ الإسرافُ في المشاعر، ربَّما لموقفٍ صادمٍ نتلافى أنْ نُواجهَهُ لأنَّهُ يُعكِّرُ صفوَنا، ومَنْ قالَ بأنَّنا كنَّا في حالةِ رضًا عن ذاكَ الصَّفاءِ الدَّاكنِ بصوتِ راديو السَّرفيس المتوجّه بينَ البلدِ والمحطَّة! إنَّهِ الإفراطُ في تلقِّي صفعَات الذَّاكرة، حالٌ لا يُشبهُهُ حال، وإنْ سألتَني عن الوطنِ فخذهُ كلَّهُ بألمهِ وتعاستِه وانهيارهِ وحربهِ وحزنهِ ودمارهِ وذكرياتهِ ولا أريدُ منهُ شيئًا إلاّ مساحةَ مترٍ بنصفِ متر مِنْ التُّرابِ لأضعَ بثقلِ جَسدي النَّحيلِ الذي بَدأَ يَتلاشى للوزنِ غيرِ المنطقي، هل تلكَ المساحةُ جاهِزة لوزنِ خمسينَ كيلو غرام لشخصيَّةِ وقحةٍ تتحدَّى الواقعَ بالعقلِ وتُلقي بالخيالِ خلفَ ظهرِها، لم تَعدْ تَعنيني الاتِّجاهاتُ ولا التوجُّهاتُ ولا حتَّى ما تبَقَّى مِنْ ركامِ بيتِنا الذي رحلَ منهُ كلُّ شيءٍ سوى الصَّمت الجائِر مِنْ مخلَّفاتِ القدر!

خُذوا الوطنَ واتركوا لي قبرَ أمي بجانبِها أضعُ كلَّ أحلامي وآمالي وما تبَقَّى مِنْ قِواي، أنا مجرمٌ بحقِّ العقلِ لأنَّني ليسَ لديَّ برنامجٌ ضابطٌ لمشاعري، إنَّهُ شيءٌ لا يُمكنُ مَسكهُ باليد، فليسَ باليدِ حيلة ولا بالعقلِ مكانًا لأترحَّمَ بهِ على ذاتي، مواجهةُ الذَّاتِ بالمشاعرِ والأحاسيسِ الحمقَاء جريمةٌ تَحرقُ مِنْ أعمارنا، لا نحنُ مِنَ الذينَ كسِبوا الماضي ولا مِنَ الذين تعايَشوا مع الحاضرِ ولا مِنَ الذينَ لديهم بَصيصُ أملٍ في المستقبل، بالمختصر:

رحلَ كلُّ شيءٍ وبَقيَتْ مُخلَّفات رجلٍ يكتبُ السراب.

نورهان صديقةٌ إيرانية.

اِسمُها مكتوبٌ في دفترِ مذكَّراتي مِنْ تاريخِ هذا اليوم:

الخميس/21 مايو/ حادثةُ نقلِ التَّابوت إلى طهران.

نورهان اسمٌ على مُسمَّى، نورٌ وبعدَها هانَ الوهنُ مِنْ كلِّ شيء، كانَ كلُّ حلمها أنْ ترقصَ على موسيقى شرقيَّة، بخلخالٍ فضيٍّ وثوبٍ حريريٍّ تَظهرُ مِنْ خلالِهِ تفاصيلُ جسدِها، تطأُ بحافَةِ أصابعِها على مسرحِ باريس للثَّقافةِ الشَّرقيَّة، تَطرقُ الدُّفوفَ في السِّماء السَّابعة، تصلُ رائِحةُ الشِّواءِ إلى جهنَّمَ فيستيقظُ أهلُ الجنَّة، يقولُ أحدُ المقيمينَ في الفردوس الأعلى:

مَنْ تلكَ التي تَهزُّ بخصرِها في عالمِ الدُّنيا؟

يقولُ أحدُ الولدانِ المخلَّدون:

نورهان خانوم!

غزالةٌ شاردةٌ تُطاردُ الحبَّ على نَقرِ الدُّفوفِ تُهرِّبُ شياطينُ الإنسِ والجنِّ لتُحضرَ ملائكةَ العرشِ تُهاذي خصرَها،

ولكنَّها هرَبتْ مِنْ إيرانَ قاطعةً البحرَ

والبرَّ مِنْ أجلِ حبٍّ مِنْ خلفِ الشَّاشةِ الرَّقميةِ لوَهمٍ أحبَّتهُ مِنْ كلِّ قلبِها، ليسَ لها مِنَ الدُّنيا سِوى أمها التي أسرفَتْ بحياتِها مِنْ أجلِ طفلةٍ يتيمةٍ قد فتَحتْ أجفانَ عقلِها بلا أب، وعدَها ذاكَ الباريسيُّ بأنْ يُغدقَ عليها بالحبِّ والمالِ والشُّهرة، أنفقَ ما هبَّ و دبَّ عليها مِنْ أجلِ أنْ تصلَ إلى باريس كي تَرقصَ بعيدًا عن هيئةِ الحسبةِ الإيرانيَّةِ الإسلاميَّةِ التي تَجعلُ مِنَ العقولِ عبيدًا لورقةٍ تاريخيَّةٍ مُزيَّفةٍ مكانها مسحُ مُؤخِّرةِ رجلٍ عجوزٍ قد تغوَّطتْ وبالتْ الدُّنيا عليهِ ثلاثًا.

وصلَتْ إلى باريس لتتلَقَّى نبأَ وفاةِ أمِّها التي تركَتْها دونَ وداعٍ ولا عِناق، خطَفَها الموتُ لأنَّ ابنتَها لا أثرَ

لها، التقيتُ بها في فيينا، صافحتْ يدي، كانتْ يدُها كأسطورةٍ في أوجِ الجنَّة، ورحلَتْ إلى باريس، لم تُسامِح نورهانُ فِعلتَها، لأنَّها كانت سببًا رئيسيًّا بموتِ أمها، كانت ترقصُ وتَبكي ويُصفِّقُ لها الجمهورُ لشجاعتِها وطريقةِ تفاعلِها بالصَّوتِ

والصُّورة، تراكمَ الألمُ في جوفِها حتَّى رقصَتْ أكثرَ مِنْ أربعِ ساعاتٍ بلا توقُّفٍ لتسقطَ كورقةِ توتٍ في بداياتِ الخريف.

توقَّفَ قلبُها ونُبِشَتْ مذكَّراتها، مكتوبٌ في آخرِ ألمٍ لها:

خُذوا الوطنَ واتركوا لي مكانًا بجانبِ قبرِ أمي.

جثةٌ هامدةٌ تُصارعُ ثلَّاجةَ الموتَى أكثرَ مِن أربعةِ أشهرٍ حتَّى وافقتْ السَّفارةُ الإيرانيَّة على نقلِ جُثمانِها

إلى طهران، حلَّقَ بها طائرُ الشَّوقِ إلى الوطن، ونبتَ اسمٌ بجانبِ قبرِ أمها:

قبرُ نورهان.

فقط، لا تُسرفوا في المشاعرِ لربَّما تعودونَ إلى أنفسِكم فلا تَجدوا مساحةَ ودٍّ لكم، ولكم هذهِ النَّظرية لتتخلَّصوا مِنَ التَّبذيرِ في المشاعر:

(لكُسي)

الوطنُ وما به، ولكنْ اتركوا مكانًا بجانبِ مَنْ تُحبُّون إنْ خانَكم القدرُ وأدبرَتْ لكمُ الحياة، فالموتُ نومٌ عميقٌ لا يتَّسعُ لغريقٍ ولا مُنقذٍ ولا رَفيق.

15

(دخيل ريحة جراباتك)

[التَّعاسةُ سببٌ كافٍ للسَّعادة]

الإنسانُ بطبيعتِه وُلدَ تَعيسًا باكيًا حزينًا خاليًا مِن جميعِ الأمراضِ المُتوارَثةِ قوميًّا وطائفيًّا وهلمَّ جرَا مِنْ عُنصريةٍ تافهةٍ

ونازيَّةٍ دمويةٍ قَذِرة، بالمختصرِ إنَّ الإنسانَ نتاجُ فرضيَّةٍ روتينيَّةٍ في مؤسسةٍ استهلاكيَّةٍ لاستنشاقِ الهواءِ الطَّلقِ مِنْ سطحِ الأرض، ومُنتِجٌ للفضلاتِ البشريةِ المُتمركزةِ على نشرِ الفوضى والأمراضِ العقلية.

التعاسةُ نِتاجُ تراكماتٍ يَصطدِمُ بها الفردُ على ما تَلقَّاهُ مِنْ تَخلّفٍ مُؤَطَّرٍ بالأفكارِ التي حدَّدوها لهُ سلَفهُ مِن أفكارٍ عبرَ حياتِهِ التي مرَّ بها، فما المطلوبُ منهُ حتَّى يَتخطَّى هذهِ المرحلة!

أنا كفردٍ أُؤمنُ بالخيارات، ولا أعتقدُ بأنَّ هناكَ خيارٌ واحدٌ لأيةِّ مُعضلةٍ يُواجهُها الفردُ مِن تعاسةٍ لحقَتْ به، أصلًا التَّعاسةُ وُلدَتْ معهُ وستُصاحبُه حتَّى تُسوَّى بهِ الأرضُ طبعًا مِنْ تقريرٍ طبيّ مِنْ مُنظَّمةِ الصحَّةِ العالميَّةِ بأنَّ هذا الشَّخصَ فارقَ الحياة!

كيفَ تَبدأُ بالخيارات؟ كلُّ شيءٍ سهلٌ تمامًا كأنْ تسألَكَ زوجتُك ماذا تُحبُّ أنْ أطبخَ لكَ اليوم!

دقِّقْ جيّدًا إنَّها تسألُكَ عن حاجةٍ تَعدُّها الزوجةُ سرًّا لكي تَغسلَ درَنَ التَّعاسةِ

وتجلبَ لكَ السَّعادة، أليسَ كذلك؟

لنفرِض أنَّ السَّعادةَ ليستْ وجبةَ طعام، أو لنفرضْ أنَّهُ ليسَ مِنْ أسبابِ السَّعادةِ بأنْ تُقدِّمَ لكَ وجبةَ طعامٍ أنتَ تُحبها!

كومةٌ مِنَ الفرضيَّاتِ مشابهةٌ تمامًا للخياراتِ ومع ذلكَ وبعدَ أنْ تمتَلِئَ معدتُكَ بما لذَّ وطاب بالعودةِ روتينيًّا إلى إكسيرِ التعاسة.

ما هو الهاجسُ أو الانفعالُ الذي يُرضيك؟ - لا شيء!

إذَن دعني أخبِرُكَ ، بأنَّهُ يجبُ عليكَ التوجُّه فورًا إلى أقربِ طبيبٍ نفسيٍّ لأنَّ لديكَ اكتئابٌ حادٌّ وعدمُ الرِّضى بأيِّ شيءٍ تَفعلُه وطبعًا هذا الخيارُ الأول، وبالنسبةِ للخيارِ الثَّاني:

(لكُسي)

عرفتَهُ أو لم تعرِفْه، أنا تعاستي لمْ أجدْ لها علاجًا فكيفَ بتعاستِك؟ لاء والأنكى مِنْ ذلكَ كلِّهِ أنَّني أتصرَّفُ معكَ كالنَّاصحِ الأمين، وآمين عليكَ وعلى يلِّي خلَّفوك، طيب راح خبرك على الخيار التَّالي:

الانتحارُ بسلكِ شَرجِ هاتفكَ المحمول!

إنهُ أجملُ وأنقى وأبهى خيار، ويُؤسفُني بأنَّ الخياراتِ نَفدَتْ لديَّ وإنْ كانَ هناكَ خيارٌ ثالثٌ أتمنَّى أنْ تضعَهُ تِلقائيًّا في مداخلِ دماغكَ للتَّخلصِ مِنْ التَّعاسة، طوِّل بالك لا تروح هناكَ خيارٌ آخرٌ ألا

وهو التَّعايشُ مع الواقع، يَحدثُ هذا في المجتمعاتِ المُنغلقةِ على نفسِها لأنَّ لديها مبرِّراتٌ لكلِّ تعاسة، شيءٌ روحانيٌّ إنْ فعلتَهُ سوفَ تكونُ سعيدًا، شيءٌ مُؤمنٌ بهِ ومُتيَقِّنٌ على إسعادِك، يتمتَّمونَ بالأذكارِ

والنَّصوصِ الرَّبانيَّةِ ويَبدو الفردُ على يقينٍ تامٍّ بأنَّ السَّعادةَ سوف تتفاعلُ مع تعاستِهِ كيميائيًّا، وعندَ الانتهاءِ مِنْ استعمالِ طُرقِ الابتهالِ والذُّلِّ والانصياعِ سوفَ تَنفردُ ملامحُكَ تدريجيًّا، طبعًا هذا نتاجُ خيالٍ واسعٍ في دماغكَ وأنا لا ألومُكَ فهذا الخيارُ الوحيدُ الذي يجعلُكَ سعيدًا، لذلكَ التَّعاسةُ سببٌ مؤكدٌّ لتوليدِ السَّعادة.

أودَعَ الكاتبُ الأفريقيُّ (كارل شويمان) البالغُ من العمرِ 77 عاماً رسالةً قبل انتحارهِ مفادها:

[قررتُ منذُ سنواتٍ إنهاءَ حياتي، وقرارُ الانتحارِ شخصيٌّ وهو أمرٌ لا أنصحُ أيَّ أحدٍ بالقيامِ به، بالنسبةِ لي أنا ممتنٌّ لقُدرتي على اتخاذِ وتنفيذِ قرار الانتحار]

وكتبَ شويمان في الرِّسالة: إنَّهُ يأملُ أنْ يُساعدَ انتحارهُ فى إجراءِ مناقشةٍ مفتوحةٍ حولَ القانون المتَّبعِ في جنوبِ أفريقيا، الذي يحظُرُ القتلَ الطوعي الرحيم.

مواجهةُ التَّعاسةِ بالانتحارِ يُعدُّ سعادة، لأنَّ اختيارَ فَرضيَّة مَصيريَّة لم ينبُعْ مِنْ فراغ، هناكَ تعاسةٌ كبيرةٌ جدًّا حصلَتْ له، فأَجرَى جميعَ الخياراتِ المطروحةِ وتركَ الخيارَ الأخيرَ مِنْ أجلِ تنفيذهِ بشجاعةٍ وفعلَها ليحصلَ على سعادتِه، إنَّها فكرةٌ جريئةٌ

وشجاعةٌ وهي إحدى خياراتي في عامِ 2021 م، وعندَ نفادِ كلّ الخياراتِ المُتَبقِّيةِ سوفَ أقدِّمُ لأحدِ المشافي السويسريةِ برقيةً لاتِّخاذِ إجراءاتِ الموتِ الرَّحيم وأتبرَّعُ بأعضاءِ جسدي لمنْ ليسَ بيدهِ عضو، وبالنِّهاية الحياة:

(لكُسي)

بمن فيها، فالتَّعاسةُ سببٌ كافٍ للسَّعادة.

16

(دخيل ريحة جراباتك)

[أخذُ النَّصيحةِ على محملِ الجدِّ بدايةٌ للانهيار]

أنا بطبيعَتي شخصٌ لا أحبُّ النَّصيحة، أكرهُ الآراءَ التي تَخصُّ حياتي الشَّخصية، ليسَ لديَّ عاهةُ الكبرياءِ والعَظَمة، دَعني أوضِّحُ لكَ بأنَّ صاحبَ هذا الكِتاب لديهِ تجاربٌ لمْ يَشهدْها الأنبياءُ ولا الأولياءُ

ولا الصَّالحين، تجاربٌ أسوأُ مِنْ حذائِكَ المُهترِئِ الذي حاولتَ إنقاذَهُ عِدَّة مراتٍ بالخياطةِ والمسحِ والتَّلميعِ والمشيِ بهِ إلى هاويةِ الكفاحِ التي يُعجنُ بها المواطَنُ المسلوبُ منهُ كلَّ أنواعِ الرَّفاهية، الذي يَحلمُ بأنْ يَشتري كيلو مِنْ لحمِ الضَّأنِ

ويَتشاركُ عليهِ ثمانيةٌ مِنْ أفرادِ عائِلته، سوفَ أُبسِّطُ لكَ الأمرَ حتَّى لا نَدخلَ بينَ حيصٍ وبيص، لا أقبلُ النَّصيحةَ مِنْ أيِّ أحدٍ كان لأنَّ الذي يَنصحُ لا يَعرفُ شروطَ النَّصيحة، الأغلبيةُ السَّاحقةُ مِنَ العربِ الذين خالطتُهم على مدارِ ثلاثينَ سَنَة مِنَ الجحيمِ كانوا وما زالوا يُقدِّمونَ لي النَّصيحةَ بالصُّرماية العتيقة، يعني يَفرِضُ عليكَ النَّصيحةَ مِنْ غيرِ أنْ يَضعَ بينَ يديكَ الاحتمالاتِ وحريةَ الاختيار، وإنْ لمْ تَأخذْ بأوامرِهِ فسوفَ تتلقَّى الصَّفعاتِ

والويلاتِ وتُصبِح عبدًا ذليلًا لنزعتِهِ العِرقيَّةِ والعُنصريَّة، يَعني بالمُختصر:

(ممسحةُ العروبةِ وتواليت الأفكارِ الخرائيَّة المتوارثة)

يَجبُ أنْ تتَماشى مع النِّظامِ الرأسماليِّ الطبقيِّ الأبويِّ الذُّكوريِّ العُنصريِّ الطائفيِّ اللَّعينِ حتَّى يَرضى عنك (2%) مِنَ الحاشية، وبالنسبةِ للقائدِ سوفَ يَبقى صُبَّاطُ

الحكومةِ فوقَ رأسِكَ حتَّى تُوارى في التُّراب، إنَّها جيناتٌ مُبرمجةٌ على العنفِ الاجتماعيّ والزّيغِ الفكريّ وتِلبيسِ إبليس وستكونُ قُنبلةً مُؤقتةً تَنفجرُ بأيّ لحظةٍ في سبيلِ رجلٍ ما يَحكمُ خِرافَ الوطنِ وبالنِّهايةِ إذا مُتَّ في سبيلهِ سوفَ يُطلقونَ عليك:

(الشهيد البطل)

شهيد شو! لم أَسمعْ أعِدْ ما ذكرتَ آنفًا بليز!

مهما شرحتُ لكَ لنْ تفهمَ لأنَّك أداةٌ مُبرمجةٌ على التَّصفيقِ والتَّطبيلِ مِنْ وقت سلَّمتَ عقلكَ وانفعالاتِكَ للدِّينِ
والقوميَّة، وتصفُ سُلوكَ المُؤَطَّرِ بالقيمِ بأنَّهُ السُّلوكُ المثاليُّ لما تربَّيتَ عليه، أُكتبْ كلَّ تلكَ القيمِ بالقلمِ الأزرقِ في ورقةٍ

وضَعها في ماءٍ فاترٍ واترُكها حتَّى يصلَ سنُّكَ إلى ما بعدِ الثلاثينَ سنةً ومِنْ ثمَّ اِغسلْ مُؤخِّرتَكَ بالماءِ المنقوعِ بأفكارِ القيم، إنَّها وصفةٌ تُسمَّى الدِّفاعُ عن

(الوهم)

أوهموكَ وكذَبوا عليكَ وأشبعوكَ خيباتٍ

وضرباتٍ وحَشَو دماغَكَ بأنَّ هناكَ عدوًّا يتربَّصُ بكَ طيلةَ حياتِك وأنت تَضعُ إصبعكَ على زِندِ سلاحِكَ مُحاولًا الدِّفاعَ عنهم، ولكنْ ستكتشِفُ عمَّا قَريب بأنَّ عدوَّكَم هم وأنتَ ضحيةُ تلكَ الترَّهاتِ

والأوهامِ والقيمِ التي لا تُسمنُ ولا تُغني مِنْ جوع، ستكتشفُ الجوعَ عندما تُقدِمُ على ثورةٍ ضدَّ الجوع، ستكتشِفُ الخيامَ

والرَّصاصَ والدِّماءُ والأيتامَ والنُّزوحَ

واللُّجوءَ والأراملَ والدَّمار، كلُّ هذا ستَدفعُ ثمنَهُ لأنَّكَ أعلنتَ إفلاسكَ مِنَ الأمانِ

والحريَّةِ والكرامة، ستعرفُ أنَّكَ أنتَ الجائعُ لكلِّ شيءٍ حتَّى للهواء.

أنا لا أقبلُ النَّصيحةَ مُذْ فَعَّلتُ زر:

(لكُسي)

ويَبقى السُّؤالُ لماذا لا تَكتبُ للوطن؟

وتَبقى الإجابة:

الوطنُ لم أرَ منهُ خيرًا لأَكتبَ له، تَفضَّلْ أنتَ واكتبْ له، يَعني (ورينا شطارتك) يا مبدع زمانك.

كلُّ مَنْ التقيتُ بهم مِنْ كتَّابٍ جُبناءَ يَخافونَ مُواجهةَ العقلِ والحقيقة، ليسَ لهم مَلجأٌ سِوى حِرمانِ الحبِّ والعاطفةِ الغبية، ولمْ أتعلَّمْ مِنْ أحدٍ سوى الخَيباتِ والقَذارةِ والشُّهرةِ وأخذِ دَور الضَّحية.

مِنْ مِنبري هذا تحيةٌ طيبةٌ للدكتورة:

(نوال السعداوي)

وغيرِها مِنْ كتَّابٍ ومُفكِّرينَ ومُروِّجينَ للكلماتِ مكانكم المُناسِب في النُّفاياتِ، اَشعِلُوا كتبَكُم في مخيّماتِ اللَّاجئينَ أفضلُ مِنَ القيقِ والنَّقيق و:

(لكُسي)

كلُّ نصائِحكم مِنْ أكبرِ مُفكِّرٍ لأصغرِ مُدبِّر.

17

(دخيل ريحة جراباتك)

[ليسَ هناكَ دُخانٌ مِن دونِ نار]

نارُ اللهِ المُلتهبة خيالٌ واسعٌ في العقولِ المُقفلة، إنَّها مباراةٌ في حَلْبةِ الحياةِ بينَ الحقِّ والباطلِ وعليكَ أنْ تَستعدَّ لمواجهةِ تلكَ المعركةِ في داخلِ إطار السؤال:

هل أنتَ مَعنا أم ضدَّنا؟

وعلى إجابتِكَ وإنْ كنتَ رجلًا مِن صُلبِ رجلٍ سوفَ تُصنَّفُ وتُؤطَّرُ ضمنَ مَنظومةِ هذهِ الفوضى العارمةِ الوهميَّة، ومهما لمَّعتَ وأظهَرْتَ صفاءَ نيَّتكَ فسوفَ يَلجأُ الآخرونَ لنبشِ الجانبِ السَّلبي، يعني لو كنتَ ابن

آلـهةٍ سوفَ تُشتَمُ ويَقولُ شاعرُ العروبةِ الذي لمْ أعرِفْ اسمه:

واللهِ لو صحبَ الإنسانُ جبريلا
لن يَسلمَ المرءُ مِن قالَ ومِن قيلا
ـَ
قد قيلَ في اللهِ أقوالٌ مصنَّفةٌ
تُتلى لو رُتل القرآنُ ترتيلا
ـَ
وقالوا إنَّ لهُ ولدًا وصاحبةً
زورًا عليهِ وبهتانًا وتَضليلا
ـَ
هذا قولهمُ في اللهِ خالقهم
فكيفَ لو قيلَ فينا بَعض ما قيلا

يَعني لا مفرَّ حتى لو لجأتَ لزمرةِ المُلحدين، كيفَ التخلصُ مِن هذهِ المُعضلةِ يا بيبي؟ يهمك أنْ تعرف كيف!

الكيفُ صفةٌ لبدايةِ سؤالٍ هجوميٍّ ليُعرِّيكَ مِنْ إنسانيَّتكَ وتُصبِح مُصابًا بأزمةِ ثقةٍ لدى جُمهور المُتسوِّلينَ والمُستفزِّينَ

والفضوليينَ لوجودكَ كفرد، طيب حطِّلي فرد المي على خصرك وطخ كلَّ تلكَ الأسئلةِ الوجوديةِ التي ستُحدِّدُ بها مسارَ حياتك، طبعًا هذا إنْ كانَ قد حُدِّدَ مسارُ حياتِكَ مِنْ قِبَلِ العائلةِ أو القبيلةِ أو الطَّائفةِ أو القوميَّة، أنتَ تَدورُ في هذا القلبِ مَهما صعنتَ وأَقنَعتَ نفسكَ بأنَّ لديكَ وهمٌ آخر، الأغلبيةُ السَّاحقةُ ممَّن يَرتادونَ تلكَ القضايا العقلُ بالنِّسبةِ لهم أتكيت، أي زينةٌ للأعيادِ الدِّينيَّةِ والقوميَّةِ والفلكلوريَّة وحط إضافة ربنا زينة شاذَّة عن الواقع، سوفَ أعودُ معكَ لمصدرِ الـ (كيف)

أنتَ بينَ خيارينِ إمَّا الاندماجُ الكليُّ معهُم أو أنْ تَختارَ وهمًا ضِدهم!

ما بدها صفنة، لديكَ عقلٌ وعليكَ أنْ تُفكِّر، طبعًا الآن سوفَ تُحضِرُ آلةً حاسبةً وتَعدُّ الخساراتِ بالانشقاقِ الكليّ عنهم
وأنتَ تُرقِّعُ الاحتمالاتِ بين:

(أنتَ أو هم)

على الأغلبِ سوفَ تَختارُ (هم) ليسَ لأنَّكَ عاجزٌ عن صراعهِم ولكنْ لأنَّكَ تَخشى الخساراتِ مِنْ مكانةٍ ومِهنةٍ ومَصلحة، أنتَ كبتولةُ صوفٍ مُتشابكةٍ بالمصالحِ لكي تُحافظَ على مَصالحِهم، أنتَ في نفسِ الوقتِ خائفٌ على مصلحتِكَ

ومكانتِك بينهم. نحنُ نَعيشُ في عصورٍ كاذبة، كلُّ يومٍ المجتمعاتُ تَكذبُ باسمِ الدِّينِ والقوميَّةِ والإنسانيَّة، العالمُ يَنحرُ بعضهُ بعضًا بالكلماتِ والحضاراتِ

والحروبِ المُدميةِ التي يَروحُ ضحيَّتها أرقامٌ تُنقل تَحتَ شريطٍ أحمرَ بكلمة:

(عاجل)

نعم،

عاجل: قَتلتْ القنابلُ ما يَصلُ إلى (140,000) شخصٍ في هيروشيما

و(80،000) في ناغازاكي بحلولِ نهايةِ سنة 1945م.

عليكِ أنْ تَتخيَّلَ أنَّ هذهِ أرقامٌ لأناسٍ مثلك وبشرٍ مِن بني جلدتِك، كانَ لديهم أملٌ وحلم، وكانتْ لديهم بيوتٌ

وثقافاتٌ وطقوسٌ دينية، اليوم أصبَحوا مُجرَّد أرقامٍ تُقرَأُ في عِدَّة أجزاءٍ مِنَ الثَّانيةِ

وتُقلبُ الصَّفحةُ أو يُطفَأُ التِّلفازُ لأنَّكَ مللتَ مِن أخبارِ الدَّم، وأنا على شرطٍ مع مشاعرِكَ بأنَّهُ لم يُحرَّكْ في وجدانكَ أي حسٍّ مِنَ الحُزنِ حتَّى ولو كانَ ضئيلًا، سوفَ تسألُني:

كيفَ عرفت؟

سوفَ أخبرُكَ كيف، ولكنْ أُتركْ مُشاهداتِ برنامج "أمريكان أيدل" السَّخيف

وبرنامج "ليزا فاندربامب" القذِر وانتبه جيّدًا على ما سأُخبركَ بهِ صديقي العزيز، بلاها كلمة صديقي المُبتذلة، يا مَن تَقرَؤُني الآن، بمُجرَّدِ أنْ فعَّلتَ نظرية:

(لكُسي)

سوفَ تَرى العالمَ عارٍ يَمشي بلا ثِياب على أرضِ الواقع، جرِّدْ دماغكَ مِنْ كلِّ الفضلاتِ التي تلقَّيتَها وابدأْ مِنْ جديد، لا تُحاولْ لأنَّكَ سوفَ تُصابُ باليأسِ المُبكِّرِ كما أصابني، واليأسُ ليسَ للنساءِ فحسبْ، إنَّ اليأسَ يُصيبُ الذُّكورَ قبلَ النِّساء

والمُصيبةُ أنَّهم يتقنَّعونَ بالوهمِ

ويَستمرِّونَ بخداعِ أنفسِهم ومَنْ حولهم،

ولكنْ سوفَ يَصلونَ إلى حافةِ مُواجهةِ الذَّات، ومِنْ طبيعةِ الإنسانِ أنَّهُ يُحمِّلُ الآخرينَ سببَ فشلِه في معركتِهِ الوجودية، وبينَ كلِّ سيناتِ التَّسويفِ التي ذكرتُها آنفًا وبينَ الوصولِ لمرحلةِ الانهيارِ وأنا أَعُدُّ الانهيارَ هو فوزٌ وليسَ خسارة، سوف تَعلمُ ما معنى وجودَكَ بالحياة، فبحب أخبرك:

أنت وَالحياةُ ووجودُكَ وعدمِهِ مثل صُرمايةِ المُواطنِ المُنغلقِ بالويلاتِ التي يُحاولُ إصلاحَها بينَ فينةٍ

وفينة، في النِّهايةِ هي عمليةُ تَصليحٍ لمصلحةِ قدمِ مواطنٍ عايف دينو.

البحثُ عن مَعنى الحياةِ مُثيرٌ للجدل، البحثُ هو انتظارٌ وهميٌّ لن يَنفعكَ إذا شعرتَ بالجوعِ ولن يَكسوكَ إنْ شَعرتَ بالبرد، التَّعري ثقافةٌ وجوديةٌ على الفردِ أنْ يَجتهدَ في تدبُّرِ الأمورِ عقليًّا ووجوديًّا، لدي صديقٌ انتحرَ قبلَ عامين إنهُ (مانفرلند) أمضى حياتَهُ يَبحثُ عن مَعنى الحياةِ بينَ الدِّينِ والإلحاد، فوصلَ بهِ الحالُ إلى أنْ يَنتحرَ لأنَّهُ فقدَ كلَّ العلاقاتِ وأصيبَ باكتئابٍ حادٍّ لأنَّهُ لمْ يَجدْ أجوبةً مُقنعةً لمعنى الحياةِ وفضَّلَ الموتَ لعلَّهُ يَرى حَياةً أُخرى تحتَ التُّراب، رحلَ مانفرلند وتركَ لي تلكَ الأسئلة، وأنا في سلسلةٍ مُتناهيةٍ ومُتناقضةٍ بينَ الواقعِ والخيال، لعلَّ الحلَّ الوحيدَ مِن ألمِ الاكتشافِ هو الموتُ المُبكِّر قبلَ مُزاولةِ مِهنة اليَأس.

إلى صديقي:

(مانفرلند)

فلترقُد بسلام، أحبُّكَ كثيرًا وآسفٌ لأنَّني ذكرتُكَ هنا، أنتَ أكبرُ مِنْ أنْ يُذكرَ اسمكَ بين دفتيّ كتاب، وداعًا.

18

(دخيل ريحة جراباتك)

[ضحَايا الانفعالاتِ ظاهرةٌ صحيَّة]

ليسَ مِنَ العيبِ أنْ نلجأَ لطبيبٍ نفسيٍّ في وقتِ تَكدُّسِ الانفعالاتِ الباردةِ في أحشائِنا، في النهايةِ نحنُ عجينةُ مشاعرٍ
وانفعالاتٍ وأحاسيس، لسنَا جدرانًا صلبةً قابلةً للتَّصدِّي مِنْ أيِّ أداةٍ لفظيةٍ أو حسيَّةٍ تطرأُ علينا كلنا، فإن انهارَتْ علينا تُرَّهاتُ الآخرينَ مِنَ الواجبِ أنْ نَرُد.
الصَّمتُ أيضًا حالةٌ طبيعيةٌ ولكنْ سوفَ تُكدَّسُ في ملفِّ الذَّاكرة، سوفَ تتألَّمُ بينَ حينٍ وآخر كلَّما جاءَكَ الماضي وتَسألُ نفسَك:

لماذا لم أَرُد عليه؟

ولماذا تُريدُ أنْ تردَّ، ما الفائدةُ مِنَ الرَّد! عدمُ المبالاةِ حالةٌ طبيعيَّةٌ ولكنْ لها تبِعاتٌ كبيرةٌ بعدَ أيِّ سيناريو فُقدتْ فيهِ حاسَّة الردِّ بالمِثل، أنتَ قادرٌ أنْ تلعنَ قدمَ الكرسيِّ الذي ضُرِبَت بهِ قدمكَ من غيرِ قَصد، قَدمُ الكرسيِّ ليسَ سببًا في إيذائِك، أنتَ المَسؤولُ عن عدمِ انتباهِكَ في سيرِكَ في الصالةِ التي تَتمركَزُ فيها الكراسي، نعم أنتَ الآنَ تتألمُ بشدَّة، بحاجةٍ إلى مُسكِّنٍ للألمِ مِنْ أجلِ أنْ يَرحلَ الوجع، إنَّهُ تفاعلٌ طبيعيٌّ في نظرِكَ ولكنْ حسبَ رُؤيتي إنَّهُ شيءٌ غيرُ عقلاني برميِ اللَّومِ على الكرسي، فلنقرِّب الصورةَ بوضوحٍ أكبر، دائمًا المجتمعُ يُحدِّدُ مسارَ الفردِ لأنَّ المجتمعَ يُمارسُ على الفردِ النَّاصحِ

والقُدوةِ على حسبِ الخبرةِ ويَنفردُ على الفردِ بضبطِ تَصرُّفاتِه، وعندما يَفشلُ الفردُ يأتي دورُ المجتمعِ المُروَّضِ على القيمِ والمبادئِ ليَرد:

إنَّهُ فشلٌ في اختيارِنا له، نحمدُ اللهَ بأنَّنا لم نُعطهِ حريَّةَ خياراتِه ولربَّما سوفَ تَحلُّ الكارثة.

استنتاجٌ مجتمعيٌّ بخري!

القيمُ موروثٌ يَتبدَّلُ كلَّما جاءَ جيلٌ جديد، في البدايةِ تأتي الفكرةُ وبعدَ ذلكَ تَجاربٌ بقساوةٍ شَرسة، كأنْ يُحجِّموا الفكرةَ
ويُؤطِّرونَها تحتَ مُسمَّى الدِّينِ والقوميةِ وهلم جرا، إنْ شاءَ اللهُ جرة تنكسر فوق رؤوسهم ونرتاح منهم ومن قيمهم، وبعدَ ذلكَ تأتي العاصفةُ الحضاريَّةُ ليَنظروا

إلى أنفسِهم بأنَّهم في الحضيضِ الأسفلِ مِنَ التَّخلف، فتبدأُ حركاتُ المُباركةِ الفَرديَّةِ

ومِنْ ثمَّ الجماعيَّةِ وبعدَ ذلكَ تُدرجُ تحتَ مُسمَّى القيم، ولا أخفيكَ ربَّما تُصبحُ تلكَ الفكرةُ المنبوذةُ في أوجِ طلعَتِها مِنْ أساسيَّاتِ الدِّين، وتُعالجُ بالمنظورِ التَّالي:

(لا ضررَ ولا ضرار)

أو:

(الضروراتُ تُقدَّر بقدرها)

أو:

(الضروراتُ تُبيحُ المحظورات)

وتُستعمَلُ مع جيلٍ جديدٍ يَرى بأنَّ تصرُّفَ الآباءِ صحيحٌ وتَعودُ الحلقةُ تَدريجيًّا إلى جيلٍ آخرٍ لنْ ولمْ يَقبلْ تَخلُّفَ الجيلِ الأنتيكة صاحِب الظلِّ الطَّويل، عفوًا:

(أيامُ الزَّمنِ الجميل)

نعم أنتيكة في العقل، عقلٌ واقفٌ تمامًا لا يَرضى بالواقعِ ولا بالبديل، ولكنَّ الواقعَ أشدُّ بُؤسًا مِنْ بطَّاريَّةٍ السَّاعةِ المتوقِّفةِ مِنْ آلافِ السَّنين، ومِنْ هُنا ومع ركوبِ موجةِ الحضارةِ والواقعِ والحقيقةِ اكتشفتُ بأنَّ الناسَ حولي قد ابتعدوا، لأنَّ الحقيقةَ لا تُعجِبُ خيالَهم ولا قيَمهم التي بالَ وخري عليها الزَّمنُ والحقيقةُ والواقع، تَخيَّلْ ثلاثةَ عناصرَ وتَبوَّلْ في آنٍ واحدٍ على أفكارِهم، السَّببُ بسيطٌ جدًّا ألا وهوَ الرُّكودُ والجمودُ على فكرةٍ لم تَعدْ تَصلحُ في عالمِ السُّرعةِ الرَّقمية، لم

يَعدْ الأمرُ غريبًا ولم تَعدْ الأرقامُ تُصنَعُ ببطءٍ على الورقِ والمحابرِ السَّخيفة، لقد وُجِدَ الحاسوبُ والهاتفُ النَّقالُ والأجهزةُ الحديثة، وأصبحتْ الأجيالُ التي يَبلغُ سنَّها بينَ العاشرةِ إلى ثماني عشرةَ سنة تَتسابقُ في اكتشافِ البرامجِ للتَّسهيلِ مِنْ عمليةِ سرعةِ وراحةِ البشرِ فى التَّقدم.

كارثةٌ رقميَّةٌ وجوديَّةٌ تهزُّ قيمًا باليةً!

إنَّهُ واقعٌ لا مفرَّ منه، لا أصدقاءَ لأنَّني لستُ بحاجةٍ لصديقٍ ولكنْ بحاجةٍ لأحدٍ لأخبرَهُ بالجديد، لقد تواصلتُ مع منظمةٍ للطِّبِ النفسي، وقد أعطوني موعدًا مع طبيبٍ نفسيٍّ في بدايةِ كلِّ أسبوع، إنَّهُ الدكتور والصديق:

(والتر)

نصفُ عامٍ وأنا أذهبُ إليهِ لأخبرَهُ بأنَّني ضحيَّةُ خيالٍ واسع، وإنَّني أوقفتُ تَدفُّقَ الخيالِ بعد ما اكتشفتُ الواقعَ والحقيقة، وإنَّ مَنفذَ الخيالِ قد سددتُهُ بفلِّينةٍ لأنَّني خرجتُ مِن سِجنِ المجتمعِ الذي يَظنُّ بأنَّهُ على حقٍّ وغيرَهُ على باطل، وبدأتُ بكتابةِ نظريَّاتٍ حياتيَّةٍ بدلًا مِن تفاهاتِ الخيالِ القبيحِ الذي لم يُنتِجْ لنا سِوى جيلٍ مُشبعٍ بالخُرافاتِ والخُزعبلات، وحاولتُ إقناعَ الطَّبيبِ بأنَّها رَدَّةُ فعلٍ إيجابية، وأنَّ الغارقينَ بالخيالِ هربوا مِنْ حولي وأنا الآنَ وحدي أواجهُ الحقيقة، وكان كلامُ الطَّبيبِ صادمًا بالنِّسبةِ لي:

أستاذ زهير، أنا أعلمُ جيِّدًا بأنَّكَ لا تَحتاجُ إلى طبيبٍ نفسي، ولستَ بحاجةٍ إلى هذهِ الجلساتِ وإضاعَة الوقتِ هنا!

لقد صُدمتُ بالإجابة:

طالما تَعرفُ أن ليسَ لديَّ أيُّ مشكلاتٍ نفسيَّة، لماذا تُحدِّدُ لي الموعدَ تلوَ الآخر؟

أستاذ زهير في الحقيقةِ أنا أحبُّ الجلوسَ معكَ لأكتشفَ نفسي ولأستفيدَ مِنْ نظريَّاتِك، ولقد سجَّلتُ لكَ إلى هذهِ اللَّحظةِ أكثرَ مِنْ ثمانينَ نظريةٍ وكلها مدوَّنةٌ هنا باسمك، أتمنَّى أنْ يَستفيدَ منها الأجيالُ القادمة، وأنْ يَستطيعوا مُواجهةَ الواقعِ مثل ما فعَلْتَ و ألاَّ يكونوا ضحايا للخيال.

في الحقيقةِ ما زلتُ أذهبُ إلى الطَّبيبِ صباح كل يوم إثنين، لأنَّ الحقيقةَ جعلَتْ مِنْ عقلي رهينًا للاكتئابِ الحادِّ وأنا أتناولُ الأدويةَ باستمرارٍ لتَهدئةِ الأعصاب، فقط لأنَّني وصلتُ إلى حالة:

(لكُسي)

صُدمتُ بالحقيقةِ الواقعيَّةِ وكيفَ كنتُ

وإلى أينَ وصَلْت، وأنا متصالحٌ مع نفسي وراضٍ عن كلِّ شيء، ولكنَّ الاكتئابَ لا دينَ له.

19

(دخيل ريحة جراباتك)

[على كلِّ حالٍ مُبارك]

لا أحدَ يُريدُ أنْ يَعترفَ بأنَّ هناكَ ثقبًا طائفيًّا غير مرئيٍّ بالعينِ المجرَّدةِ يَتسلَّلُ منهُ عفنُ الكراهية، لا تَختلفُ قريشُ عندما كانتْ تصنعُ الآلهةَ مِنْ تمرٍ ثمَّ تُقدِّمُ لها القرابينَ وتَتقرَّبُ منها وتَطلبُ الرِّزقَ

والأمانَ والحماية، بالمختصرِ إنَّها عدَّةُ آلهات: اللَّاتُ وهُبلُ ومَناةُ والعُّزى

وطاغوتُ وذو الشَّرى ووِدّ وعَوَض، نعودُ للمقارنةِ مِنْ حيثيَّةِ الاختلافِ المُتقاربِ بينَ قريشَ ومُؤمني هذا الزَّمان، عندما جاءَ خاتمُ الأنبياءِ بدعوتهِ لقريشَ ثارَتْ قريشُ لنجدةِ أصنامها وفي الحقيقةِ ليستْ مُجرَّدَ حماية

للآلهةِ بل مِنْ أجلِ مصالحِهم مِنْ مناصبَ وتجارةٍ باسمِ الدِّينِ وسَدَنةِ الكعبةِ زادَها اللهُ تَشريفًا، في هذا العصرِ عادَتْ قريشُ بثوبٍ آخر

واحتلَّتْ الكعبةُ مجدَّدًا وأصبحَ حاميها حراميها كبقيَّةِ الدُّولِ التي تَدَّعي أسلمةَ الوجوديَّةِ وإثباتَ ميولٍ دينيٍّ وفي نفسِ الوقتِ قد أخذَوا دورَ الضَّحيةِ لأنَّهم مُحاربونَ مِنْ كلِّ الكونِ كما يَزرعُ علماءُ الدِّينِ في عقولِ العوام، كلَّ عامٍ تُكسى الكعبةُ بالحريرِ والذَّهبِ ناهيكَ عن إزهاقِ الأموالِ في سبيلِ بيتٍ حاشى للهِ أنْ يُوضعَ بينَ أربعةِ جدران، عَنونَتْ صحفيةُ "المدينة صوت قلمنا" ذاتَ يومٍ الخبرَ الآتي:

(أكثرُ مِنْ 4 آلافِ فردٍ و400 آلةٍ حديثةٍ لتنظيفِ الحرمِ المكيِّ ومَرافقِه وساحاتِه الخارجية)

لن أخبركَ كم مِنَ الأموالِ تُنفَقُ بينما المُسلمون يَموتونَ جوعًا وقتلًا بينَ أنفسهِم كلَّ يوم، سوريا

والعراقُ والصومالُ وبُلدان أخرى يَفترشُ النَّاسُ المقابرَ فليسَ لديهِم بيوتًا تؤويهم، وقالَ النبيُّ محمد:

(لأنْ تُهدمَ الكعبةُ حجرًا حجرًا أهونُ عندَ اللهِ مِنْ أنْ يُراقَ دمُ امرئٍ مسلم)

والحديثُ صحيح.

ليسَ لنا في السَّردِ بقَدرِ ما لنَا في الواقع، لي صديقٌ عزيزٌ وأخٌ طيَّبٌ مِنْ دمشقَ سأكتفي بذكرِ اسمهِ الأوَّل:

(مصطفى)

أنجبَ طفلًا جميلًا ومُكللًا بالعافية، سُعدتُ لفرحتِه التي لا تُقدَّرُ بثمن،

وكتبتُ لهُ المُباركةَ عبرَ الأنستغرام،

وأخبرتُهُ بأنَّ اليومَ هو يومُ السَّبتِ سوفَ أصلِّي وأدعو اللهَ لهُ بأنْ يُكلِّلَهُ بالعافيةِ

والصَّحةِ والأمان.

ردَّ عليَّ حرفيًّا:

أنا أكرهُ اليهود، ولا أريدُ صلاتَكَ أبدًا.

تساءلت:

(طيب ليش؟)

وجاءَ في الحادثةِ الطيّبةِ التي تُظهرُ طُهرَ الرَّسولِ مِن مُدَّعِي محبَّته والتي تقول:

عن بريدةٍ رضيَ الله عنهُ قال:

(كنَّا جلوسًا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، فقال:

اذهبوا بِنا نعودُ جارَنا اليهودي. قال: فأتيناه، فقال: كيفَ أنتَ يا فلان؟ فسألَه، ثم قال: يا فلان، اِشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله. فنظرَ الرَّجلُ إلى أبيه، فلم يُكلِّمْه، ثمَّ سكتَ ثمَّ قالَ وهو عندَ رأسه، فلم يُكلِّمه، فسَكَت، فقال: يا فلان، اِشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسولُ الله. فقالَ لهُ أبوه: اِشهدْ لهُ يا بُني. فقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّكَ رسولُ الله. فقال: الحمدُ للهِ الذي أعتقَ رقبةً مِنَ النار)

رواهُ ابنُ السني في"عمل اليوم والليلة"

لِتفرضْ أنَّ الحديثَ ضعيف، ما علاقةُ الكراهيةِ التي لا أساسَ لها في الدِّين!

طيب لن أُصلِّي ولنْ أَدعو، سأكتَفي بالمُباركة، وطبعًا:

(لكُسي)

مِنْ مَبدأِ النظرية، وبالنِّسبةِ للطِّفلِ أتمنَّى لهُ مُستقبلًا مُشرقًا خالٍ مِنَ الكرَاهيَّةِ
والعُنصرية ومُختلفًا عن نهجِ قُريشَ ومَنْ حامَ حولهم وبَس.

20

(دخيل ريحة جراباتك)

[الشُّعورُ بالوحدةِ سيجعلكَ تكتشفُ العالمَ مِنْ حولِك وأوَّلهم أنت]

التَّمردُ كما يُطلقونَ عليه مدَّعو الفضيلةِ انفصامُ الشخصيَّة، التَّمردُ في المجتمعاتِ المُنفتحةِ على أيِّ شيءٍ جديدٍ يُسمَّى إبداعًا، وبينَ رجمِ الأوَّلين لصاحبِ الفكرةِ الجديدةِ وبينَ تَصفيقِ الآخرينِ ستولدُ فكرةٌ أخرى مِنْ نِتاجِ تَجربتِك، فكرةٌ تَقتلُ فكرةً أو السَّير المنطقي الدركتيري ربَّما يَتمَحورُ حولَ جنونِ اكتشافِ الألغاز، في الحاراتِ المُنغلقةِ اللُّغزُ عبارةٌ عن رصدٍ مدفونٍ تحتهُ كنزٌ ولكنَّ المُخيفَ في الأمرِ تجربةُ فكِّ الرَّصدِ كما تَتداولُهُ العجائزُ

ورجالُ الدِّينِ والغارقونَ في وحلِ الوهم، وأما الحاراتُ المكشوفٌ بعضها على بعضٍ التي تَتداولُ المعلومةَ إلكترونيًّا

وبالإثباتِ القطعيِّ الواقعيِّ وكما يَترَصَّدُ لهُ العقل، اللُّغزُ عبارةٌ عن تَبصُّرٍ في ماهيَّتهِ ومِنَ السَّهلِ فكِّه، وعلى سيرةِ فكِّهِ فكَّ اللهُ رقابَ البشريَّةِ مِنْ وهمِ رجالِ الدِّينِ

وحديثِ العجائزِ الخَرِفَات.

الشُّعورُ بالوحدةِ بدايةٌ جديدةٌ لتتعرَّفَ على نفسِكَ جيِّدًا وتكتشفَ تَقلُّباتِها

وانفعلاتِها ومبالاتِها ومشاعرِها السَّالفةِ واللَّعينةِ التي سبَّبتْ لكَ كلَّ هذا النُّزوح مِنَ العالمِ والخلوة لمواجهةِ الذَّات،

وحتى لا أنسَى كلَّ مَنْ قالَ لنا:

(إنَّ النَّفسَ لأمارةٌ بالسوء!)

هم مَنْ صدَّروا السُّوءَ للبشريَّة، وبدلَ أنْ يُعالِجوا خللَ السُّوءِ راحوا يُعبِئُون الوهمَ! والوهمُ في أدمغةِ ومشاعرِ البَشر، ليتحكَّموا بالعقلِ البشريِّ وليَجعلوهُ مسرحًا هزليًّا دراميًّا وأوتوماتيكيًّا لخدمةِ مَصالحهم الشَّخصية، على مَبدأ:

(فرِّقْ تسُد)

وأنا فارقتُ الناسَ فراقًا بائنًا بلا رجعة، طلاقٌ بالثَّلاثةِ مِنْ دونِ تَذكرةِ عودة، عزلةٌ لاكتشافِ المزيد، الاختلاطُ الكيميائيُّ تَترتَّبُ عليهِ أنظمةٌ سلبيةٌ وأولها إضاعَة الوقتِ في إرضاءِ فُلان وتَمسيحِ الجوخِ لفُلان، أصبحَ التَّفاعلُ فيزيائيًّا وعن بُعدٍ ومِنْ خلفِ هذهِ الشَّاشةِ الصَّغيرةِ التي أكتبُ عليها نظريَّتي التي تقول:

(لكُسي)

لا تفهموها، أحاولُ أنْ أوصِلَ الفكرةَ بعنوانٍ لا يَليقُ بالقرَّاء، وفي النِّهاية لي الحريَّةُ التَّامةُ بعَنونَةِ كُتبي، وإنْ لمْ يُعجبْكَ العنوانُ لماذا للآنَ تَقرأُ كتبي؟ انقلع وشاهدْ برنامجًا وهميًّا لرجلٍ يُوزِّعُ بطاقاتِ التَّأمينِ في الجنَّةِ للأغبياءِ بالمجان، عليكَ أنْ تتأكَّدَ بأنَّ لا شيءَ هُنا بالمجان، كلُّ شيءٍ لهُ ثمنٌ وضريبة، وأكبرُ ضريبةٍ كانتْ بالنِّسبةِ لي بعدَ هذهِ النَّظريةِ الثَّلاثيةِ أنَّني بقيتُ وحيدًا فعليًّا لا كما يَعتقدُ بعضُ الأغبياءِ بأنَّني أبحثُ عن الشُّهرة.

يعني تعال لنحسبَ المعادلة:

رجلٌ بائسٌ ومكتئبٌ ومُلاحقٌ بمرضِ الموت + شهرة =

(0 - صفر)

مُتيقِّنٌ تماما أنَّني بالنَّهايةِ لنْ أتكلَّمَ سِوى عن الواقعِ والحقيقةِ لأنَّ الشُّعورَ بالذَّنبِ أسوأُ بكثيرٍ مِنَ الموتِ بقناعٍ كاذبٍ مِنْ أجلِ إرضاءِ طيز فلان وعلتان، في الختامِ تذكرةٌ بصديقٍ طاعنٍ في السنِّ كانَ يَشربُ الكحولَ بكثرةٍ في العاصمةِ فيينا، لا عملَ ولا بيتَ ولا زوجةَ ولا أبناء، كانَ يَسرقُ ليشربَ الكحول، تَخيَّلْ كم حجمُ عدمِ اكتراثهِ لما تبَقَّى مِنْ حياته!

الرَّحمةُ إلى روحهِ الطيِّبة، كانَ يَجلسُ أمامَ حديقةِ منزلي في الصَّباحِ الباكر، بيدهِ زجاجةُ الوسكي وفتاتُ الخبزِ ليُطعمَهُ للحَمام، كنتُ أقدِّمُ لهُ بعضَ قِطعِ الخبزِ المُغطَّاةِ بالزبدةِ ومربى الكرز، يبتسمُ لي:

صباحُ الخيرِ أستاذ زهير.

صباحُ الخيرِ سيِّدي، وجبةُ الإفطارِ ساخنةٌ أتمنَّى أنْ تنالَ إعجابَكم.

شكرًا بُنيَّ هذا لطفٌ منك.

كانَ يأكلُ نصفَ قطعةِ الخبزِ والنِّصف الآخر يُلقي بهِ للحَمام، كم كانَ هذا الرَّجلَ عادلًا ويَعلمُ أنَّ الأرزاقَ مُقيمةٌ على كلِّ مَنْ لهُ روح، ولكنْ اختَفى فجأةً لأعرفَ أنَّهُ في سجنِ فيينا، حملتُ الطَّعامَ والخبزَ وقصدتُ زيارتَه.

بيني وبينَهُ جدارٌ زجاجيٌّ على مسافةِ متر، رآني مِنْ بعيدٍ مَكسوًّا بالشيب، أمسكتُ الهاتفَ لأسمعَ صوتَه:

لقد أحضرتُ لكَ الطَّعامَ والخبزَ المُغطَّى بالكرز.

لقد رأيتُ دموعَهُ تَسيل، يَمسحُ بكُمِّهِ المتَّسخِ ما نزلَ مِنْ دموع:

شكرًا لكَ أستاذ زهير.

سألتُه:

هل تحتاجُ إلى أيِّ مُساعدة؟

أجاب:

نعم أريدُ منكَ أنْ تَقسِمَ سلَّةَ الخبزِ
وتطعمَها للحمام!

قلت:

حسنًا سوفَ أفعل، ولكن ما الذي تَنوي فِعلهُ بعدَ خروجِكَ مِنَ السِّجن؟

أجاب:

سوفَ أسرقُ البنكَ المركزي وأشتري الوسكي والخبزَ وأجلسُ بجانبِ منزلكَ لإطعامِ الحمامِ واكتشافِ الذَّاتِ مع مخلوقاتٍ لا تَعرفُ الخيانةَ ولا الكذبَ ولا الطَّعنَ في الظَّهر.

انتهت المقابلةُ وطلبَ الشُّرطيُّ المغادرة، تركتُ لهُ سلَّةَ الخبزِ وبعدَ عودتي علمتُ بأنَّهُ تُوفِّيَ بأزمةٍ قلبيةٍ

قد أودتْ بروحهِ طائرًا مع الحمامِ يَنتظرُ مَنْ يَحملُ جثمانهَ إلى السَّماء.

واليوم أنا أمارسُ صداقةً طيبةً مع الحمامِ والصَّمتِ والوحدةِ والمرض.

شكرًا لكَ سيِّدي لأنَّكَ لقَّنتَني درسًا لن أنساهُ أبدًا.

سأحتفظُ باسمكَ هنا لأنَّهُ ثمينٌ جدًّا وأختمُ هذا الكتابَ بمسكِ روحِكَ التي حلَّقتْ عاليًا إلى السَّماء،

أنتم السَّابقونَ ونحنُ اللَّاحقونَ وإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون.

الجمعة /22/مايو/ 2020 للميلاد.

الساعة 12:01 بتوقيتِ العاصمة فيينا في منزلي الأخضر.

زهير أبو سعد